مكتبة
الأسرة
1999

التراث

المختار من
فتوح البلدان
للبلاذري

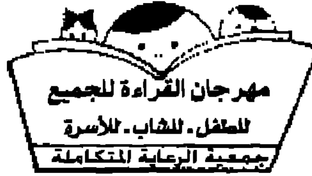
المختار من فتوح البلدان

المختار من

فتوح البلدان

إعداد وتقديم

د. سمير سرجان   د . محمد عنانى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة التراث)

المختار من فتوح البلدان

إعداد وتقديم : د. سمير سرحان   د. محمد عنانى

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: محمود الهندى
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

د. سمير سرحان

تصدير

يعتبر كتاب **فتوح البلدان** للبلاذرى من أمهات كتب التاريخ العربى والإسلامى ، وقد عاش المؤلف فى القرن الثالث الهجرى (ت ٢٧١) ، فكان ما يزال قريب العهد بالأحداث التى يرويها ، وهو يعتمد - كغيره من مؤرخى الجيل الثانى - على رواية ما وصله من أخبار ينسبها إلى أصحابها ، وكان شاعراً ومترجماً عن الفارسية ، واسمه الكامل مشكوك فى صحته وإن كان يقال انه أحمد بن يحيى بن جابر ، وقد سُمّى بالبلاذرى فيما يقال لأنه كان يأكل البلاذر فى آخر عمر ، وهو نبات هندى ، أو شرب سائلا يصنع منه ، « على غير معرفة به ففقد عقله ومات » على ما يروى محمد بن إسحق النديم ، ولئن كان المؤرخون الأوائل فى الاسلام حتى ابن هشام (٢١٨ هـ) قد عنوا بالسيرة والمغازى ، فلقد وسع البلاذرى من مادة هذا التاريخ بحيث أصبحت تعنى بالفتوحات الإسلامية على نطاق واسع ، وذكر المظاهر المختلفة التى رافقت وقائعها وأحداثها ، ويقول أحمد أمين «وهذا ما دعا مؤرخى البلدان أن يعقدوا

الفصول الطويلة فى أول كتبهم يبينون فيها حال البلد فى الفتح ، هل فتحت سلماً أم عنوة ؟ وهذا هو الذى دعا البلاذرى أن يفرد فى ذلك كتابه المشهور **فتوح البلدان** » .

ويسعد مكتبة الأسرة أن تقدم إلى القارئ العربى هذا العام بعض المختارات من هذا الكتاب النفيس ، ابتداء من فتح قبرص (قبرس) حتى فتح الأندلس ، وفى هذه المختارات من عبق التاريخ وجمال الرواية ما يعتبر مادة ذات مذاق فريد ، ما أحوجنا اليوم إلى التمتع بها ، والاطلاع على ما بها من روائع .

والله من وراء القصد

مكتبة الأسرة

أمر قبرس

قال الواقدى وغيره، غزا معاوية بن ابى سفيان فى البحر غزوة قبرس الأولى ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها ، وكان معاوية استأذن عمر فى غزو البحر فلم يأذن له ، فلمّا ولى عثمان بن عفّان كتب إليه يستأذنه فى غزوه[1] قبرس ويُعلمه قربها وسهولة الأمر فيها فكتب إليه أن قد شهدت ما ردّ عليك عمر «رحـه»[2] حين استأمرته فى غزو البحر فلمّا دخلت سنة ٢٧ كتب اليه يهوّن عليه ركوب البحر إلى قبرس ، فكتب اليه عثمان فان ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذوناً لك والا فلا ، فركب البحر من عكّا ومعه مراكب كثيرة وحمل امرأته فَاخِتَة بنت قَرَظَة ابن عبد عمرو بن نَوْفَل بن عبد مناف بن قُصَيّ وحمل عُبَادَة بن الصّامت امرأته امّ حَرَام بنت مِلحان الأنصاريّة وذلك فى سنة ٢٨ بعد انحسار الشتاء ، ويقال فى سنة ٣٩ ، فلمّا صار المسلمون إلى قبرس فأرْفَوا إلى ساحلها (وهى جزيرة فى البحر يكون فيما يقال ٨٠ فرسخاً فى مثلها)

---

(١) وفى نسخة « ب » : غزو .
(٢) رحـه : تعنى رحمه الله .

بعث اليهم أركونها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها به فصالحهم على سبعة آلف ومائتى دينار يؤدُّونها فى كلّ عـام ، وصالحهم الروم على مثل ذلك فهم يؤدُّون خـرجين ، واشترطوا أن لا يمنعـهم المسلمون أداء الصلح إلى الروم ؛ واشـتـرط عليهـم المسلمـون أن لا يقاتلـوا عنهم من أرادهـم من ورائهم ، وأن يؤذنوا المسلمين بسير عدوّهم من الروم ، فكان المسلمون اذا ركبـوا البحـــر لم يعرضـوا لهم ولم ينصرهم اهل قـبرس ولم ينـصروا عليهم . فلمّا كانت سنة ٣٢ أعانوا الروم على الغزاة فى البحر[1] بمراكب اعطوهم أيّاها فـغزاهم معـاوية سنة ٣٣ فى خمس مـائة مركب ، فـفتح قبرس عنوة فقتل وسبى ثمّ أقرّهم على صلحهم ، وبعث اليها باثنى عشر ألفاً كلُّهم اهل ديوان ، فبنوا بها المساجـد ونقل اليها جماعة من بَعْلَبَكّ ، وبنا بها مدينة واقاموا يعطون الاعطية إلى أن توفى معاوية وولي بعده ابنه يزيد ، فأقفل[2] ذلك البعث وامـر بهدم المدينة . وبعض الرواة يزعم أنّ غزوة معاوية الثانية قبرس فى سنة ٣٥ .

وحدّثـنى محـمّد بن مُصَفّى الحمـصى عن الوليد ، قـال ، بلغنا أنّ يزيد بن معـاوية رُشِي مالا عظيـماً ذا قدر حـتّى اقفل جند قـبرس ، فلمّا قفلوا هدم أهل قبرس مدينتهم ومساجدهم .

وحدّثنى محمّد بن سعد، عن الواقدى، عن عبد السـلام بن موسى ،

(١) وردت فى نسخة « آ » باضافة : من المسلمين .

(٢) اقفل : أرجع .

عن أبيه قال : لمّا غُزِيت قبرس الغزوة الأولى ركبت أمُّ حَرَام بنت مِلْحان مع زوجها عُبَادة بن الصَّامِت ، فلمَّا انتهوا إلى قبرس خرجت من المركب وقُدمت إليها دابّة لتركبها ، فعثرت بهـا فقتلتها ، فقبرها بقبرس يدعى[1] قبر المرأة الصالحة . قالوا : وغزا مع معاوية ابو ايُّوب خالد بن زيد بن كُلَيب الانصارى، وأبو الدَّرْدَاء، وأبو ذَرّ الغفارى ، وعُبادة بن الصامت ، وفَضالة بن عُبَيد الانصارى ، وعُمَير بن سعد بن عُبَيد الانصارى ، وواثِلَة بن الأسْقَع الكنانى ، وعبد الله بن بشر المازنى ، وشَدَّاد بن أوْس ابن ثابت ، وهو ابن اخى حسَّان بن ثابت ، والمِقْداد وكَعْب الحَبْر بن مَاتِع ، وجُبَيْر بن نُفَيْر الحضرمى .

حدَّثنى هشام بن عمَّار الدمشقى قال : حدَّثنا الوليد بن مُسْلِم عن صَفْوان بن عمرو ، أنَّ معاوية بن ابى سفيان غزا قبرس بنفسه ومعه امرأته ، ففتحها الله فتحاً عظيماً ، وغنَّم المسلمين غنماً حسناً ، ثمَّ لم يزل المسلمون يغزونهم ، حتَّى صالحهم معاوية فى أيَّامه صلحاً دائماً على سبعة الف دينار ، وعلى النصيحة للمسلمين ، وانذارهم عدوّهم من الروم ، هذا أو نحوه . قالوا : وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك أجلى منهم خلقاً إلى الشام لأمر اتَّهمهم به ، فأنكر الناس ذلك ، فردَّهم يزيد بن الوليد بن عبد الملك إلى بلدهم ، وكان حُمَيْد بن مَعْيُوف الهَمْدانى غزاهم فى خلافة الرشيد لحدث أحدثوه فأسر

(١) وورد فى الأصل : تدعى .

منهم بشراً ، ثمّ أنّهم استقاموا للمسلمين فأمر الرشيد بردّ من أسر منهم فردّوا .

حدّثنى محمّد بن سعد عن الواقدى فى اسناده ، قال : لم يزل أهل قبرس على صلح معاوية حتّى ولى عبد الملك بن مروان فزاد عليهم ألف دينار فجرى ذلك إلى خلافة عمر بن عبد العزيز فحطّها عنهم ، ثم لمّا ولى هشام بن عبد الملك ردّها ، فجرى ذلك إلى خلافة أبى جعفر المنصور ، فقال : نحن أحقّ من انصفهم ، ولم نتكثّر بظلمهم فردّهم إلى صلح معاوية .

وحدّثنى بعض أهل العلم من الشاميّين وأبو عبيد القاسم بن سلاّم قالوا : احدث أهل قبرس حدثاً فى ولاية عبد الملك بن صالح بن على ابن عبد الله بن عبّاس الثغور فأراد نقض صلحهم ، والفقهاء متوافرون فكتب إلى اللّيث بن سعد ، ومالك بن انس ، وسفيان بن عيينة وموسى بن أعين ، واسماعيل بن عيّاش ، ويحيى بن حمزة ، وابى اسحاق الفزارى ، ومَخْلَد بن الحسين فى امرهم فأجابوه ، وكان فيما كتب به الليث بن سعد انّ اهل قبرس قوم لم تزل نتّهمهم بغشّ اهل الإسلام ومناصحة اعداء الله الروم ، وقد قال الله تعالى[1] : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ ولم يَقُل لا تنبذ[2] إليهم حتّى تستيقن

(١) قرآن كريم : سورة الأنفال الآية ٥٩ .

(٢) نبذ العهد : نقضه .

خيانتهم وانّى أرى ان تنبذ اليهم وينْظَروا سنة يأتمرون ، فمن أحبّ منهم اللحاق ببلاد المسلمين على أن يكون ذمّة يؤدّى الخراج قبلت ذلك منه ، ومن أراد أن يتنحى إلى بلاد الروم فعل ، ومن أراد المقام بقبرس على الحرب أقام ، فكانوا عَدُوّاً يُقَاتَلون ويُغْزَون فإنّ فى انظار سنة قطعاً لحجّتهم ووفاء بعهدهم ، وكان فيما كتب به مالك بن انس ، أنّ أمان أهل قبرس كان قديماً متظاهراً من الولاة لهم ، وذلك لأنهم رأوا أنّ اقرارهم على حالهم ذلّ وصغار لهم وقوّة للمسلمين عليهم ، بما يأخذون من جزيتهم ويصيبون به من الفُرْصَة فى عدوّهم ، ولم أجد أحداً من الولاة نقض صلحهم ولا اخرجهم عن بلدهم ، وأنا أرى أن لا تعجل بنقض عهدهم ومنابذتهم حتّى تتّجه الحجّة عليهم فانّ الله يقول[1] : ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ ، فإن هم لم يستقيموا بعد ذلك ويَدَعوا غشّهم ، ورأيتَ انّ الغدر ثابت منهم اوقعتَ بهم، فكان ذلك بعد الاعذار فرُزقت النصر ، وكان بهم الذلّ والخزى ان شاء الله تعالى ، وكتب سفيان بن عيينة انّا لا نعلم النبى ﷺ عاهد قوماً فنقضوا العهد الاّ استحلّ قتلهم ، غير أهل مكّة فانّه منّ عليهم ، وكان نقضهم أنّهم نصّروا حُلَفَاءهم على حُلَفَاء رسول الله ﷺ من خُزاعة ، وكان فيما أخذ على أهل نَجْران ان لا يأكلوا الربا ، فحكم فيهم عمر «رحه» حين اكلوه باجلائهم فإجماع القوم أنّه من نقض عهداً فلا ذمّة له ، وكتب موسى بن أعين : قد كان يكون مثل هذا فيما خلا ، فيعمل الولاة فيه

---

(١) قرآن كريم : سورة التوبة الاية : ٥ .

النظرة ، ولم أر أحداً ممّن مضى نقض أهل قبرس ولا غيرها ، ول
عامّتهم وجماعتهم لم يمالئوا على ما كان من خاصّتهم ، وأنا أرى الو
لهم والتمام على شرطهم ، وان كان منهم الّذى كان ، وقد سمه
الأوزاعى يقول : فى قوم صالحوا المسلمين ، ثم أخبروا المشركين بعور
ودلّوهم عليها انّهم ان كانوا ذمّة فقد نقضوا عهدهم وخرجوا من ذمّتهم
فان شاء الوالى قتل وصلب ، وان كانوا صلحاً لم يدخلوا فى
المسلمين، نبذ اليهم الوالى على سواء ﴿ أَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي كَيْدَ[1] الْخَائِنِينَ
وكتب اسماعيل بن عيّاش ، أهل قبرس أذلاّء مقهورون يغلبهم الروم ع
أنفسهم ونسائهم فقد يحقّ علينا أن نمنعهم ونحميهم ، وقد كتب حبي
بن مسلمة لاهل تَفْلِيس فى عهده ، انّه ان عرض للمسلمين شغل عنَ
وقهركم عدوّكم فانّ ذلك غير ناقض عهدكم بعد أن تفوا للمسلمين ، و
أرى أن يقرّوا على عهدهم وذمّتهم ، فانّ الوليد بن يزيد قد كان أجلا
إلى الشام فأستقطع ذلك المسلمون، واستعظمه الفقهاء، فلمّا ولى يزيد
الوليد بن عبد الملك ردّهم إلى قبرس ، فاستحسن المسلمون ذلك من فع
ورأوه عدلاً ، وكتب يحيى بن حمزة انّ أمر قبرس كأمر عَرَبَسُّوس ، ف
فيها قدوة حسنة ، وسنّة متبعة ، وكان من أمرها أنّ عُمَير بن سعد قال
لعمر بن الخطّاب وقدم عليه أنّ بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عَرَبسُّوس
وأنّهم يخبرون عدونّا بعوراتنا ولا يظهرونا على عورات عدوّنا ، فقا

(١) قرآن كريم : سورة يوسف الآية : ٥٢ ، وفى سورة الأنفال الآية ٥٩ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ .

عمر : فاذا قدمت فخيّرهم أن تعطيهم مكان كلّ شاة شاتين ، ومكان كلّ بقرة بقرتين ، ومكان كلّ شىء شيئين ، فإذا رضوا بذلك فأعطهم ايّاه وأجلهم واخربها ، فان أبوا فانبذ اليهم ،وأجّلهم سنة ثمّ اخربها ، فانتهى عمير إلى ذلك فأبوا ، فأجّلهم سنة ، ثمّ أخربها وكان لهم عهد كعهد أهل قبرس ، وترك أهل قبرس على صلحهم والاستعانة بما يؤدّون على امور المسلمين افضل ، وكلّ أهل عهد لا يقاتل المسلمون من ورائهم ويجرى عليهم أحكامهم فى دارهم فليسوا بذمّة ، ولكنهم أهل فدية ، يكفّ عنهم ما كفّوا ويُوفى لهم بعهدهم ما وفوا ورضوا ، ويقبل عفوهم ما أدّوا ، وقد رُوى عن مُعَاذ بن جبَل انّه كره ان يُصالح احد من العدوّ علي شىء معلوم ؛ الاّ أن يكون المسلمون مضطرّون إلى صلحهم لانّه لا يدرى لعلّ صُلْحَهم نفع وعز للمسلمين . وكتب أبو اسحاق الفزارى ومَخْلَد بن الحسين انّا لم نر شيئاً اشبه بأمر قبرس من امر عَرَبَسُوس ، وما حكم به فينا عمر بن الخطّاب ، فانّه عرَض عليهم ضعف مالهم على ان يخرجوا منها ، او نظرة سنة بعد نبذ عهدهم اليهم ، فأبوا الأولى فأنْظِروا ثمّ أُخْرِبت ، وقد كان الأوزاعى يحدّث أنّ قبرس فتحت فتركوا على حالهم وصولحوا على أربعة عشر ألف دينار ، سبعة ألف للمسلمين ، وسبعة ألف للروم على أن لا يكتموا الروم أمر المسلمين ، وكان يقول ما وفى لنا أهل قبرس قطّ وانّا لنرى انّهم أهل عهد وانّ صلحهم وقع على شىء فيه شرط لهم وشرط عليهم ولا يستقيم نقضه الاّ بأمر يعرف فيه غدرهم ونكثهم .

أمر السامرة

حـدثنى هشام بن عـمار ، عن الوليـد بن مُسْلم ، عن صَفْوان بن عمرو أنَّ أبا عـبيدة ابن الجرَّاح صـالح السَّامِرة بالأُردُنّ وفِلَسْطين ، وكانوا عيوناً وأدلاَّءَ للمسلمين ، على جزية رؤوسهم ، وأطعمهم أرضهم ، فلمَّا كان يزيد بن معاوية وضع الخراج عـلى أرضهم . وأخبرنى قوم من أهل المعرفـة بأمر جندى الأُرْدُنّ وفِلَسطِينَ ، أنَّ يزيد بن معـاوية وضع الخراج على أراضى السامرة بالأردنّ ، وجعل على رأس كلّ أُمـرىء منهم خمسة دنانيـر ، والســامرة يهـود ، وهم صنفـان صنف يقـال لهم الدُّسْتـان ، وصنف يقال لهم الكُوشان .

قالوا : وكـان بفلسطين فى أوّل خلافة أمـير المؤمنين الرشيـد «رحه» طاعون جـارف ، ربمَّا اتى على جـميع أهل البـيت ، فخربـت ارضوهـم وتعطَّلت ، فوكَّل السلطان بهـا من عمَّرها ، وتألَّف الا كرة[1] والمزارعين اليها فصارت ضياعـاً للخلافة ، وبها السـامرة ، فلمَّا كانت سنة ٢٤٦ رفع أهل قرية من تلك الضـياع تدعى بيت ماما من كورة نابُلُس ، وهـم سامرة يشكون ضعـفهم وعـجزهم عن أداء الخـراج على خمسـة دنانير ، فـأمر المتوكِّل على الله بردّهم إلى ثلاثة دنانير .

حدَّثنى هشــام بن عمَّار قال : حـدّثنا الوليد بن مُسلِم ، عن صَفْوان

---

(١) الأكرة : ج الأكَّار ، الحرَّاث .

ابن عمـرو وسعيـد بن عبد العـزيز ، أنّ الروم صالحت مـعاوية على أن يؤدّى إليهم مالا ، وارتهن معاوية منهم رهناء فوضعهم ببَعْلَبَكّ ، ثمّ إنّ الروم غـدرت ، فلم يستـحلّ معـاوية والمسلمون قـتل من فى أيديهم من رهنهم ، وخلّوا سبـيلهم وقالوا : وفاءٌ بغـدر خيرٌ من غدرٍ بغـدرٍ ، قال هشام وهو قول العلماء ، الأوزاعى وغيره .

أمرُ الجَرَاجِمَة

حدّثنى مشايخ من أهل انطاكـية ، أنّ الجُرَاجِمَة من مدينة على جبل اللُّكام عنـد مـعدن الزاج فـيمـا بين بَيَّاس وبُوقا يقـال لها الجُرْجُومَة وانّ أمرهم كـان فى أيام استـيلاء الروم على الشـام وأنطاكيـة ، إلى بطريق أنطاكية وواليـها ، فلمّا قدم أبو عبيدة انطاكـية وفتحها لزمـوا مدينتهم ، وهمّوا باللحاق بالروم اذ خافوا على أنفسهم فلم ينتبه المسلمون لهم ، ولم ينبّهوا عليهم ، ثـمّ إنّ أهل أنطاكية ، نقضوا وغـدروا ، فوجّه اليهم أبو عبيـدة من فتحها ثانيـة ، وولاّها بعد فتحهـا حَبيب بن مَسلمَة الفِهْرى ، فغـزا الجُرجُومَة فلم يقاتـله أهلها ، ولكنّهم بدروا بطلب الأمـان والصلح فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمســلمين وعيوناً ومسالح فى جبل اللُّكام وأن لا يؤخذوا بالجزية وان ينفّلوا اسلاب من يقتلون من عدوّ المسلمين اذا حضروا معهم حرباً فى مـغازيهم ، ودخل من كان فى مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وغـيرهم ، وأهل القرى فى هذا الصلح ، فسُمّوا الرواديف لانّهم تَلَوْهم وليسوا منهم ، ويقـال أنهم جاءوا بهم إلى عسكر

المسلمين ، وهم ارداف لهم ، فسُمّوا روادیف ، فكان الجُرَاجِمَة يستقيمون للولاة مرّةً ويعوجون أخرى ، فيكاتبون الروم ويمالئونهم ، فلمّا كانت أيّام ابن الزبير ومروان بن الحكم وطلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليته أيّاه عهده واستعداده للشخوص إلى العراق لمحاربة المصعب بن الزبير ، خرجت خيل للروم إلى جبل اللّكام وعليها قائد من قوّادهم ، ثمّ صارت إلى لُبْنَان وقد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجُرَاجِمَة ، وانباط وعبيد أبّاق من عبيد المسلمين ، فاضطر عبد الملك إلى أن صالحهم على الف دينار فى كلّ جمعة ، وصالح طاغية الروم على مال يؤدّيه[1] إليه لشغله عن محاربته وتخوّفه ان يخرج إلى الشام فيغلب عليه ، واقتدى فى صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق فانّه صالحهم على أن يؤدّى إليهم مالا وارتهن منهم رهناء وضعهم ببَعْلَبَكَ ، ووافق ذلك أيضاً عمرو بن سعيد بن العاصي الخلافة ، واغلاقه أبواب دِمَشْق حين خرج عبد الملك عنها ، فازداد شغلاً وذلك فى سنة ٧٠ ، ثمّ أنّ عبد الملك وجّه إلى الرومي سُحَيم بن المهاجر فتلطّف حتّى دخل عليه متنكّراً فاظهر الممالاة له وتقرّب اليه بذمّ عبد الملك وشتمه وتوهين امره حتّى امنه وأغترّ به ، ثمّ أنّه انكفى عليه بقوم من موالى عبد الملك وجنده كان أعدّهم لمواقعته ورتّبهم بمكان عرفه ، فقتله ومن كان معه من الروم ، ونادى فى سائر من

---

(١) ذكر الطبرى قوله : ثم دخلت سنة ٧٠ ، ففى هذه السنة ثارت الروم واستجاشوا على من بالشام من المسلمين فصالح عبد الملك بن مروان ملك الروم على أن يؤدى إليه فى كل جمعة الف دينار خوفاً منه على المسلمين .

ضوى اليه بالأمان ، فتفرّق الجُراجِمَة بقرى حِمْص ودِمَشْق ، ورجع اكثرهم إلى مدينتهم باللُّكام ، واتى الانباط قراهم فرجع العبيد إلى مواليهم ، وكان مَيْمون الجُرْجُمَانى عبداً رومياً لبنى امّ الحكَم اخت معاوية بن ابى سفيان وهم ثَقَفِيُّون ، وانّما نسب إلى الجُرَاجِمَة لاختلاطه بهم وخروجه بجبل لُبْنان معهم ، فبلغ عبد الملك عنه بأس وشجاعة ، فسأل مواليه أن يعتقوه ففعلوا وقوّده على جماعة من الجند ، وصيّره بانطاكية ، فغزا مع مَسلمَة بن عبد الملك الطُّوانة وهو على ألف من أهل انطاكية ، فاستشهد بعد بلاء حسن وموقف مشهود ، فغمّ عبد الملك مُصابه وأغزى الروم جيشاً عظيماً طلباً بثأره .

قالوا : ولمّا كانت سنة ٨٩ ، اجتمع الجُرَاجِمَة إلى مدينتهم وأتاهم قومٌ من الروم من قبل الإسكندرية ورُوسس ، فوجّه الوليد بن عبد الملك اليهم مَسلمَة بن عبد الملك فأناخ عليهم فى خلق من الخلق فافتتحها على ان ينزلوا بحيث احبّوا من الشام ، ويجرى على كلّ امرىء منهم ثمانية دنانير ، وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت ، وهو مديان من قمح ، وقسطان من زيت ، وعلى أن لا يكرهوا ، ولا احد من أولادهم على ترك النصرانيّة ، وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين ، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ، وعلى أن يغزوا مع المسلمين فيَنْفَلوا[1]

(١) تنفّل صلى النوافل على اصحابه ، اخذ من النفل أو الغنيمة اكثر مما أخذوا ، وتنفّل منه الشيء : طلبه .

اسـلاب من يقتلونـه مبـارزة ، وعلى أن يؤخـذ من تجاراتهم ، وأمـوال موسـريهم ، ما يؤخـذ من أموال المسلمين فـأخرب مـدينتَهم ، وأنزلهم فأسكنهم جـبل الحُوَّار وسنح اللولون (؟) وعَمْق تِيزِينَ ، وصار بعـضهم إلى حمص ، ونزل بطريق الجُرْجُومَة فى جماعـة معه انطاكية ، ثمَّ هرب إلى بلاد الروم ، وقد كـان بعض العمَّال الزم الجُراجـمة بأنطاكيـة جزية رؤوسهـم ، فرفعوا إلى الواثق بالله « رحه » وهو خليـفة ، فأمر باسقاطها عنهم .

وحدَّثنى بعض من أثِقُ به من الكتَّاب ، انَّ المتـوكل على الله «رحه» أمر بأخـذ الجزية من هؤلاء الجراجـمة ، وان يجـرى عليهم الارزاق ، اذ كانوا ممَّن يستعان به فى المسالح[1] وغير ذلك ، وزعم أبو الخطَّاب الأَزْدى أنَّ أهل الجُرْجُومَة كانـوا يغيرون فـى أيَّام عبد الملك عـلي قرى انطاكـية والعَمْق ، واذا غزت الصـوائف قطعوا على المتـخلِّف واللاحق ومن قدروا عليه ممَّن فى أواخر العـسكر ، وغالوا فى المسلمين فأمر عبد الملك ، ففرض لقوم من أهل انطاكيـة وانباطها ، وجعلوا مـسالح ، وأردفت بهـم عساكر الصوائف ليؤذنوا الجراجمة عن اواخرها ، فسُمُّوا الروادیف ، وأجرى على كلّ امرىء منهم ثمانية دنانير ، والخبر الأوَّل اثبت .

وحدَّثنى ابـو حـفص الشامى ، عن محمَّد بن راشـد ، عن مكحول قـال : نقل معـاوية فى سنة ٤٩ او سنة ٥٠ إلى الـسواحل قـوماً من زُطّ

(١) المسلحة : موضع السلاح ، المرْقب ، ج مـسالح ، الجماعة والقوم ذوو الـسلاح .

البصرة وألسياتجة ، وأنزل بعضهم أنطاكية ، قال أبو حفص فبأنطاكية محلّة تعرف بالزُطّ وببُوقًا من عمل انطاكية قوم من أولادهم يعرقون بالزُطّ، وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل إلى أنطاكية قوما من الزُطّ السند ممّن حمله محمّد بن القاسم إلى الحجّاج، فبعث بهم الحجّاج إلى الشام .

وحدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، قال : خرج بجبل لُبْنَان قوم شكوا عامل خراج بَعْلَبَكّ ، فوجّه صالح بن على بن عبد الله بن عبّاس من قتل مقاتلهم واقرّ من بقى منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم واجلى قوماً من أهل لُبْنان . فحدّثنى القاسم بن سلاّم أنّ محمّد بن كَثِير حدّثه أنّ الأوْزاعِىّ كتب إلى صالح رسالة طويلة حُفظ منها ، وقد كان من اجلاء اهل الذمّة من جبل لُبْنان ممّن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممّن قتلتَ بعضهم ، ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامّة بذنوب خاصّة ، حتّى يُخْرَجوا من ديارهم واموالهم وحكم الله تعالى : ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1] وهو أحقّ ما وُقف عنده واقتدى به وأحقّ الوصايا أن تُحفَظ وترعى وصيّة رسول الله ﷺ فأنّه قال من ظلم معاهداً وكلّفه فوق طاقته ، فانا حجيجه ، ثمّ ذكر كلاماً .

حدّثنى محمّد بن سهم الانطاكى قال : حدّثنى معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق الفزارى قال : كانت بنو اميّة تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية ممّا يلى ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو ،

---

(١) سورة النجم الآية ٣٨ . وفى سورة الأنعام الآية ١٦٤ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

وترتّب الحفظة فى السواحل ، ويكون الاغفال والتفريط خلال الحزم والتيقّظ ، فلمّا ولى ابو جعفر المنصور تتبّع حصون السواحل ومدنها فعمّرها وحصّنها وبنى ما احتاج إلى البناء منها وفعل مثل ذلك بمدن الثغور ، ثمّ لمّا استخلف المهدى استتمّ ما كان بقى من المدن والحصون وزاد فى شحنها . قال معاوية بن عمرو ، وقد رأينا من اجتهاد امير المؤمنين هارون فى الغزو ، ونفاذ بصيرته فى الجهاد ، امراً عظيماً أقام من الصناعة ما لم يقم قبله ، وقسم الأموال فى الثغور والسواحل واشجى الروم ، وقمعهم ، وأمر المتوكل على الله بترتيب المراكب فى جميع السواحل وان تشحن بالمقاتلة وذلك فى سنة ٢٤٧ .

الثغور الشامية

حدّثنى مشايخ من أهل انطاكية وغيرهم ، قالوا كانت ثغور المسلمين الشامية أيّام عمر وعثمان « رضيهما »(*) وما بعد ذلك انطاكية وغيرها من المدن الّتى سمّاها الرشيد عَوَاصِمَ ، فكان المسلمين يغزون ما وراءها كغزوهم اليوم ما وراء طرْسُوس ، وكان فيما بين الإِسْكَنْدَرُونَة وطَرْسوس حصون ومسالح للروم ، كالحصون والمسالح الّتى يمرّ بها المسلمون اليوم ، فربّما اخلاها اهلها وهربوا إلى بلاد الروم خوفاً ، وربّما نُقل إليها من مقاتلة الروم من تشحن به ، وقد قيل أنّ هِرَقْل أدخل أهل هذه المدن معه

(*) رضيه : تعنى رضى الله عنه .

عند انتقاله من أنطاكية لئلاً يَسِيرَ المسلمون فى عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم ، والله اعلم .

وحدَّثنى ابن طسون البَغْراسى عن اشياخهم أنَّهم قالوا : الأمر المُتَعالم عندنا انَّ هِرَقْل نقل أهل هذه الحصون معه وشعَّثها[1] فكان المسلمون اذا غزوا لم يجدوا بها احداً ، وربَّما كمن عندها القوم من الروم فأصابوا غرَّة المتخلِّفين عن العسكر والمنقطعين عنها ، فكان ولاة الشواتى والصوائف اذا دخلوا بلاد الروم خلَّفوا بها جنداً كثيفاً إلى خروجهم . وقد اختلفوا فى أوَّل من قطع الدَّرْب ، وهو درب بَغْراس فقال بعضهم : قطعة مَيْسَرَة بن مسروق العبسى ، وجَّهه أبو عبيدة بن الجرَّاح ، فلقى جمعاً للروم ومعهم مستعربة من غَسَّان وتَنُوخ وإياد ، يريدون اللحاق بهِرَقْل ، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة : ثمَّ لحق به مالك الأَشْتَر النَّخَعى مدداً من قبل أبى عبيدة وهو بأنطاكية ، وقال بعضهم أوَّل من قطع الدرب عُمَير بن سعد الانصارى حين توجَّه فى أمر جَبَلَة بن الأَيْهَم . وقال ابو الخطَّاب الأزدى ، بلغنى انَّ أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمرَّ بالمَصِّيصَة وطَرَسُوس ، وقد جلا أهلها واهل الحصون التى تليها فادرب ، فبلغ فى غزاته زَنْدَة . وقال غيره انَّما وجَّه مَيْسَرَة بن مسروق فبلغ زَنْدَة . حدَّثنى أبو صالح الفَرَّاءُ عن رجل من أهل دِمَشْق يقال له عبد الله بن الوليد عن هشام بن الغار ، عن عُبَادَة بن نُسَىّ ، فيما

---

(١) شعث الشيء : فرقه .

يحسب أبو صالح ، قال : لمّا غزا معاوية غزوة عَمّوريّة فى سنة ٢٥ ، وجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية ، فوقّف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة وقِنّسْرِين ، حتّى انصرف من غزاته ، ثمّ أغزى بعد ذلك بسنة أو سنتين يزيد بن الحُرّ العبسى الصائفة ، وأمره ففعل مثل ذلك ، وكانت الوُلاة تفعله . وقال هذا الرجل ، ووجدتُ فى كتاب مغازى معاوية أنّه غزا سنة ٣١ من ناحية المَصّيصَة فبلغ دَرَوْلِيّة ، فلمّا خرج لا يمرّ بحصن فيما بينه وبين أنطاكية الاّ هدمه .

وحدّثنى محمّد بن سعد الواقدى وغيره قال : لمّا كانت سنة ٨٤ غزا على الصائفة عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فدخل من درب أنطاكية وأتى المَصّيصَة فبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكّاناً من الجند فيهم ثلاثمائة رجل أنتخبهم من ذوى البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى فيها مسجداً فوق تلّ الحصن ، ثم سار في جيشه حتّى غزا حصن سِنان ففتحه ووجّه يزيد بن حُنين الطائى الانطاكى فأغار ، ثمّ انصرف اليه . وقال أبو الخطّاب الأزْدى كان أوّل من ابتنى حصن المَصّيصَة فى الاسلام عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك فى سنة ٨٤ ، على أساسها القديم فتمّ بناؤها وشحنها فى سنة ٨٥ ، وكانت فى الحصن كنيسة جُعِلت هُرْياً [1] وكانت الطوالع من أنطاكية تطلع عليها فى كلّ عام

---

(١) الهرْى : البيت الكبير يجمع فيه القمح وغيره .

فتشتوا بها، ثمَّ تنصرف وعدَّة من كان يطلع إليها ألف وخمس مائة إلى الألفين . قال : وشخص عمر بن عبد العزيز حتَّى نزل هري المَصِّيصَة وأراد هدمها ، وهدم الحصون بينها وبين أنطاكية ، وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها ، فأعلمه الناس أنَّها عُمرت ليدفع من بها من الروم عن أنطاكية وأنَّه ان اخربها لم يكن للعدوّ ناهية[1] دون انطاكية ، فامسك وبنى لأهلها مسجداً جامعاً من ناحية كفَرَبيَّا واتَّخذ فيه صبهريجاً ، وكان اسمه عليه مكتوباً ، ثم انّ المسجد خرب فى خلافة المعتصم بالله وهو يدعى مسجد الحصن . قال ثمَّ بنى هشام بن عبد الملك الربض ، ثمَّ بنى مروان بن محمد الخُصوص فى شرقى جَيْحان ، وبنى عليها حائطاً واقام عليه باب خشب وخندق خندقاً ، فلما استخلف أبو العبَّاس فرض بالمَصِّيصَة لاربع مائة رجل زيادة فى شحنتها ، واقطعهم . ثمَّ لما استخلف المنصور فرض بالمَصِّيصَة لاربع مائة رجل ، ثمَّ لما دخلت سنة ١٣٩ أمر بعمران مدينة المَصِّيصَة، وكان حائطها متشعثاً من الزلازل وأهلها قليل فى داخل المدينة، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة ١٤٠ ، وسمَّاها المعمورة وبنى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها، وجعله مثل مسجد عمر مرَّات ، ثم زاد فيه المأمون أيَّام ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين المغرب ، وفرض المنصور فيها لالف رجل ، ثمَّ نقل أهل الخُصُوص وهم فُرْس وصقالبة ، وانباط نصارى ، وكان مروان اسكنهم

---

(١) مكان ينتهى إليه فيكون امناً للجند .

ايّاها وأعطاهم خططاً فى المدينة عوضـاً عن فنازلهم على ذرعها ، ونقض فنازلهم ، وأعانهم على البناء ، وأقطع الفرض قطائع وفلاكن .

ولما استكلف المهدى فرض بالمَصِّيصَة لألفى رجل ولم يقطعهم لأنّها قد كانت شُحِنت فن الجند والمطوّعة ، ولم تزل الطوالع تأتيها فن انطاكية فى كلّ عام حتّى وليها سالم البَرَلّْى ، وفرض فوضعه لخمس فائة فقاتل على خاصّة عشرة دنانير، فكَثُر فن بها وقووا، وذلك فى خلافة المهدى .

وحدّثنى فحمد بن سهم عن فشايخ الثغر ، قالوا : الحّت الروم على أهـل المـصـيصة فـى أوّل أيّام الـدولة المباركـة حتّى جلوا عنهـا ، فوجّه صالح بن على جَبْرِيل بن يحيى البَجَلى إليهـا فعمرها وأسكنها الناس فى سنة ١٤٠ ، وبنى الرشيـد كَفَرَبيَّا ، ويقال بل كانت ابتديت فـى خلافة المهدى ، ثمّ غيَّر الرشيد بناءها وحصّنها بكندق ، ثمّ رُفع إلى المأفون فى أفر غلّة كانت على فنازلهـا فأبطلها ، وكانت فنازلها كـالخانات ، وأفر فجُعل لها سور فـرفع فلم يلتمّ حتّى توّفى ، فأفر المعـتصم بالله باتمافه وتشريفه . قالوا : وكان الّذى حـصّن المُثَقَّب هشام بن عبد الملك على يد حلّان بن فاهُوَيَه الانطاكى ، ووُجد فى خندقه حين حُفِر عظم سَاق ففرط الطول فبُعث به إلى هشـام . وبنى هشام حصن قَطَرْغَاش على يدى عـبد العزيز بن حيّان الانطاكى ، وبنـى هشام حصن فُورة على يدى رجل فن أهل انطاكية ، وكان سـبب بنائه ايّاه انّ الروم عرضوا لرسول له فى درب اللُّكام عند العَقَبَة البيضاء، ورتّب فيه أربعين رجلاً وجماعة فن الجراجمة،

وقام ببَغْراس مسلحة فى خملين رجلاً وابتنى لها حصناً. وبنى هشام حصن بُوقا فن عمل انطاكية ، ثمّ جُدِّد واصلح حـديثاً . وبنى فحمد بن يوسف المروزى المعروف بأبى سعـيد حصناً بلاحل أنطاكيـة بعد غارة الروم على ساحلها فى خلافة المعتصم بالله «رحه» . حدّثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرقّة عن أبيـه، عن جدّه ، أنّ عـمر بـن عبـد العزيز «رضـه» أراد هدم المَصِّيصَة، ونقل أهلـها عنها، لما كانوا يلقون فن الروم فتوفّى قبل ذلك .

وحدّثنى بعض أهل أنـطاكية وبَغْراس ، أنّ فَلْمَةَ بن عـبد الملك لما غزا عَمُّورِيَّة حمل فـعه نلاءه ، وكانت بنو افـيَّة تفعل ذلك ارادة الجدّ فى القتال للغيرة على الحرم ، فلمـا صار فى عَقَبَة بَغْراس عند الطريق المتدقّة التى تُشْرِفُ على الوادي سقط فحمل فيـه افرأة إلى الحضيض فأفر فَلْمَةَ أن تمشى سائر النلاء فمشين ، فلمِّيت تلك العقبة عَقَبَة النلاء ، وقد كان المعتـصم بالله « رحه » ، بنى عـلي حدّ تلك الطريق حـائطاً قصـيراً فن حجـارة . وقال أبو النعمـان الانطاكى ، كان الطريق فـيما بين أنطاكـية والمَصِّيصَة فُلبعة[1] يعترض للناس فيها الأسـد ، فلمَّا كان الوليد بن عبد الملك ، شُكى ذلك إليه ، فوجّه أربعة ألف جـافوسة وجافوس فنفع الله بها . وكان فحمـد بن القاسم الثّقفى ، عافل الحجّاج على اللند ، بعث فنها بألوف جوافيس[2] فبعث الحجّاج إلى الوليد فنها بما بعث فن الأربعة

(١) مُسبعَة : تكثر فيها السباع .

(٢) رالأصح : بالوف الجواميس .

ألف وألقى باقيها فى آجام كَسْكَر ، ولما خُلع يزيد بين المهلَّب ، فقتل وقبض يزيد بن عبد الملك اموال بنى المهلَّب اصاب لهم اربعة الف جاموسة كانت بكور دجلة وكَسكَر ، فوجَّه بها يزيد بن عبد الملك إلى المَصِّيصَة ايضاً مع زُطِّها ، فكان أصل الجواميس بالمصِّيصَة ثمانية الف جاموسة ، وكان أهل انطاكية وقِنّسرين قد غلبوا على كثير منها واختاروه لأنفسهم فى آيّام فتنة مروان بن محمد بن مروان قلما استخلف المنصور أمر بردّها إلى المصيصه وامّا جواميس أنطاكية فكان أصلها ما قدم به الزُطّ معهم وكذلك جواميس بُوقا . وقال : أبو الخطَّاب بُنى الجسر الَّذى على طريق أَذَنَه من المَصِّيصَة ، وهو على تسعة اميال من المَصِّيصَة سنة ١٢٥ فهو يُدعى جسر الوليد، وهو الوليد بن بزيد بن عبد الملك المقتول . وقال أبو النعمان الأنطاكى وغيره بُنِيت أَذَنَة فى سنة ١٤١ أو ١٤٣ ، والجنود من أهل خراسان معسكرون عليها مع مَسلمَة بن يحيى البَجَلي ، ومن أهل الشام مع مالك بن أَدْهَمْ الباهلى ، وجَّههما صالح بن على . ولما كانت سنة ١٦٥ أغزى المهدى ابنه هرون الرشيد بلاد الروم ، فنزل على الخليج ثمُ خرج ، فرمَّ المصِّيصَة ومسجدها وزاد فى شحنتها وقوّى أهلها ، وبنى القصر الَّذى عند جسر أَذَنَة على سَيْحان ، وقد كان المنصور أغزى صالح بن على بلاد الروم ، فوّجه هلال بن ضيغم في جماعة من أهل دمشق والأردنّ وغيرهم ، فبنى ذلك القصر ولم يكن بناؤه محكماً فهدمه الرشيد وبناه ، ثمَّ لما كانت ١٩٤ بنا ابو سُلَيم فرج الخادم أَذَنَة ،

فأحكم بناءها وحَصَّنها وندب إليها رجالا من أهل خراسان وغيرهم على زيادة فى العطاء ، وذلك بأمر محمد بن الرشيد ، فرمَّ قصر سَيْحان ، وكان الرشيد توفّى سنة ١٩٣ ، وعامله على أعشار الثغور أبو سُلَيم ، فأقرّه محمد ، وأبو سُلَيم هذا هو صاحب الدار بأنطاكية .

وحدّثنى محمد بن سعد ، عن الواقدى قال : غزا الحسن بن قَحْطَبَة الطائى بلاد الروم سنة ١٦٢ فى أهل خراسان ، وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ومطوّعة العراق والحجاز ، خرج مما يلى طرسوس فاخبر المهدى بما فى بنائها وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة ، من عظيم الغناء عن الاسلام والكبت للعدوّ والوقم[1] له فيما يحاول ويكيد ، وكان الحسن قد أبلى فى تلك الغزاة بلاءً حسناً ودوّخ ارض الروم حتّى سمُّوه الشَّيْتَن ، وكان معه فى غزاته مَنْدَل العَنَزِى المحدّث الكوفى ، ومُعْتَمِر بن سليمان البصرى .

وحدّثنى محمد بن سعد قال : حدّثنى سعد بن الحسن قال : لما خرج الحسن من بلاد الروم ، نزل مرج طرسوس فركب إلى مدينتها ، وهى خراب ، فنظر إليها واطاف بها من جميع جهاتها ، وحزر عدّة من يسكنها فوجدهم مائة ألف ، فلما قدم على المهدى ، وصف له أمرها وما فى بنائها وشحنتها من غيظ العدوّ وكبته ، وعزّ الاسلام وأهله ، وأخبره فى الحَدَث أيضاً بخبر رغّبه فى بناء مدينتها ، فأمره ببناء طرسوس وأن يبدأ بمدينة الحَدَث فبنيت ، وأوصى المهدى ببناء طرسوس ، فلما كانت

(١) وقم الرجل : قهره وأذلّه .

سنة ١٧١ بلغ الرشيد أنَّ الروم ائتمروا بينهم بالخروج إلى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتلة فيها ، فأغزى الصائفة فى سنة ١٧١[1] هَرْثَمَةَ بن أَعْيَن ، وأمره بعمارة طرسوس وبنائها وتمصيرها ، ففعل وأجرى أمرها على يد فَرَج بن سُليم الخادم بأمر الرشيد فوكَّل فَرَج ببنائها ، وتوجّه أبو سُليم إلى مدينة السلام فأشخص الندبة[2] الأولى من أهل خراسان وهم ثلاثة ألف رجل ، فوردوا طرسوس ، ثمَّ أشخص الندبة الثانية وهم ألفا رجل ، الف من أهل المَصِّيصَة ، وألف من أهل انطاكية على زيادة عشرة دنانير لكلّ رجل من أصل عطائه ، فعسكروا مع الندبة الأولى بالمدائن على باب الجهاد فى مستهلّ المحرَّم سنة ١٧٢ ، إلى ان استتمَّ بناءُ طرسوس وتحصينها ، وبناء مسجدها ومسح فَرَج ما بين النهر إلى النهر ، فبلغ ذلك اربعة الاف خطَّة ، كلُّ خطَّة ٢٠ ذراعاً فى مثلها واقطع اهل طرسوس الخطط ، وسكنتها الندبتان فى شهر ربيع الآخر سنة ١٧٢ .

قالوا : وكان عبد الملك بن صالح قد استعمل يزيد بن مَخْلَد الفزارى على طرسوس فطرده من بها من أهل خراسان، واستوحشوا منه للهُبَيرِيّة، فاستخلف أبا الفوارس فأقرَّه عبد الملك بن صالح، وذلك فى سنة ١٧٣ .

قال محمَّد بن سعد : حدَّثنى الواقدى قال : جلا أهل سِيسِيَّة ولحقوا

---

(١) وقيل فى سنة : ١٩١ .

(٢) الندبة : الجماعة المنتدبة ، الموكل إليها القيام بمهمة ما .

بأعلى الروم فى سنة ١٩٤ أو ١٩٣ ، وسِيسِيَّة مدينة تلّ عَيْن زَرْبَة ، وقد عمرت فى خلافة المتوكل على الله على يدى على بن يحيى الأرمنى ، ثمَّ اخربتها الروم .

قالوا ، فكان الذى أحرق أنطاكية المحترقة ببلاد الروم ، عبَّاس بن الوليد بن عبد الملك ، قالوا : وتلّ جُبَيـر نُسِبت إلى رجل من فُرْس انطاكية كانت له عنده وقعة ، وهو من طرسوس على أقلّ من ١٠ اميال ، قالوا : والحصن المعروف بذى الكِلاع ، انَّما هو الحصن ذو القِلاع لأنَّه على ثلاث قلاع فحرف اسمه ، وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذى مع الكواكب . وقالوا : سمِّيت كنيسة الصُلح لأنَّ الروم لمَّا حملوا صلحهم إلى الرشيد نزلوها ، ونُسب مرج حسين إلى حسين بن مُسلِم الانطاكى ، وذلك أنَّه كانت له به وقعة ونكاية فى العدوّ ، قالوا : وأغزى المهدى ابنه هارون الرشيد فى سنة ١٦٣ فحاصر أهل صَمَالُو وهى التى تدعوها العامَّة سَمَالو ، فسألوه الامان لعشرة اهل ابيات ، فيهم القومس ، فاجابهم إلى ذلك ، وكان فى شرطهم ان لا يفرق بينهم ، فانزلوا ببغداد على باب الشمَّاسية ، فسمُّوا موضعهم سَمَالو فهو معروف ، ويقال : بل نزلوا على حكم المهدى ، فأستحياهم وجمعهم بذلك الموضع وامر أن يسمَّى سَمَالُوا ، وأمر الرشيد فنودى على من بقى فى الحصن فبيعوا ، وأُخِذ حُبْشِىّ كان يشتم الرشيد والمسلمين ، فصُلب على برج من ابراجه .

وحدَّثنى أحمد بن الحارث الواسطى ، عن محمَّد بن سعد ، عن الواقدى قال : لما كانت سنة ١٨٠ أمر الرشيد بابتناء مدينة عَيْن زَرْبَة وتحصينها وندب إليها نُدْبَة من أهل خراسان وغيرهم ، فأقطعهم بها المنازل ، ثم لما كانت سنة ١٨٣ أمر ببناء الهارونية ، فبُنِيت وشُحِنت أيضاً بالمقاتلة ومن نزح إليها من المطوّعة ونُسِبت إليه ، ويقال أنَّه بناها فى خلافة المهدى ، ثمَّ أُتِمَّت فى خلافته . قالوا : وكانت الكنيسة السوداء من حجارة سود بناها الروم على وجه الدهر ، ولها حصن قديم أُخْرِب فى ما أُخْرِب ، فأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها وندب اليها المقاتلة فى زيادة العطاء .

وأخبرنى بعض أهل الثغر عَزُّون بن سعد انَّ الروم اغارت عليها ، والقاسم بن الرشيد مقيم بدَابِق فاستاقوا مواشى أهلها وأسروا عدَّة منهم فنفر إليهم أهل المَصِّيصَة ، ومطوّعتها فاستنقذوا جميع ما صار إليهم وقتلوا منهم بشراً ، ورجع الباقون منكوبين مفلولين فوجَّه القاسم من حصَّن المدينة ورمَّها ، وزاد فى شحنتها ، وقد كان المعتصم بالله نقل إلى عين زَرْبَة ونواحيها بشراً من الزُّطّ الَّذين قد كانوا غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع اهلها بهم .

حدَّثنى أبو صالح الأنطاكى قال : كان أبو اسحاق الفزارى يكره شرى[1] أرض بالثغر ، ويقول غلب عليه قوم فى بدء الأمر وأجلوا الروم

---

(١) شرى : ابتياع .

عنه ، فلم يقتسموه ، وصار إلى غيرهم ، وقد دخلت فى هذا الأمر شبهة العاقل حقيق بتركها ، وكانت بالثغر ايغارات قد تحيّفت ما يرتفع من أعشاره حتّى قصرت عن نفقاته فأمر المتوكل فى سنة ٢٤٣ بابطال تلك الايغارات فأُبطِلت .

فتوح الجزيرة

حدَّثنى داود بن عبد الحميد قاضى الرَّقَّة ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن مَيْمُون بن مِهْران قال : الجزيرة كلُّها فتوح عِيَاض بن غَنْم بعد وفاة أبى عبيدة ، ولاَّه أيَّاها عمر بن الخطَّاب ، وكان أبو عبيدة استخلفه على الشام ، فولّى عمر بن الخطَّاب يزيد بن أبى سفيان ، ثمَّ معاوية من بعده الشام ، وامر عِيَاضاً بغزو الجزيرة .

وحدَّثنى الحسين بن الأسود ، قال حدَّثنا يحيى بن آدم عن عدَّة من الجزريّين ، عن سليمان بن عَطَاء القرشى ، قال : بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى الجزيرة ، فمات أبو عبيدة وهو بها فولاَّه عمر ايَّاها بعدُ .

وحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم قال : حدَّثنا النُّفَيْلى عبد الله بن محمَّد قال : حدثنا سليمان بن عَطَاء قال : لمَّا فتح عياض بن غنم الرُّهَا ، وكان أبو عبيدة وجَّهه وقف على بابها ، على فرس له كميت ، فصالحوه على أنَّ لهم هيكلهم وما حوله ، وعلى أن لا يحدثوا كنيسة ، الاَّ ما كان

لهم ، وعلى معونة المسلمين على عدوّهم ، فان تركوا شيئاً ممّا شرط عليهم فلا ذمّة لهم ، ودخل أهل الجزيرة فيما دخل فيه أهل الرُّها .

وقال : محمّد بن سعد قال الواقدى : اثبت ما سمعنا فى امر عياض ، انّ ابا عبيدة مات فى طاعون عَمَواس سنة ١٨ ، واستخلف عياضاً فورد عليه كتاب عمر بتوليته حمص وقِنّسْرِين والجزيرة ، فسار إلى الجزيرة يوم الخميس للنصف من شعبان سنة ١٨ فى خمسة آلاف ، وعلى مقدمته مُيَسَّرَة بن مسروق العبسى ، وعلى ميمنته سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحى ، وعلى ميسرته صَفْوان بن المُعَطَّل السُّلَمى ، وكان خالد بن الوليد على ميسرته ، ويقال انّ خالداً لم يسر تحت لواء احد بعد أبى عبيدة ، ولزم حمص حتّى توفّى بها سنة ٢١ ، وأوصى إلى عمر وبعضهم يزعم أنّه مات بالمدينة وموته بحمص أثبت . قالوا : فانتهت طليعة عياض إلى الرَّقّة فاغاروا على حاضر كان حولها للعرب ، وعلى قوم من الفلاّحين فأصابوا مغنماً ، وهرب من نجا من أولئك فدخلوا مدينة الرَّقّة ، واقبل عياض فى عسكره حتّى نزل باب الرُّهَا وهو احد أبوابها فى تعبئة ، فرُمى المسلمون ساعة ، حتّى جُرِح بعضهم ، ثمّ أنّه تأخّر عنهم لئلاّ تبلُغَه حجارتهم وسهامهم ، وركب فطاف حول المدينة ، ووضع على أبوابها روابط ، ثمّ رجع إلى عسكره وبثّ السرايا ، فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى ، وبالأطعمة الكثيرة ، وكانت الزروع مستحصدة ، فلما مضت خمسة أيّام ، أو ستّة وهم على ذلك ارسل بطريق المدينة إلى

عيـاض يطلب الأمان ، فصالحه عياض على أن أمّن جميع أهلها على أنفسهم وذراريهم وأموالهم ومدينتهم وقال عياض : الأرض لنا قد وطئناها وأحرزناها فـأقرّها فى أيديهم عـلى الخراج ، ودفع منها مـا لم يردّه أهل الذمّة فرفضـوه إلى المسلمين على العشر ووضع الجزية علـى رقابهم فالزم كلّ رجل منهم ديناراً فى كل سنة ، وأخرج النساء والصبيان ، ووظّف[1] عليهم مع الدينار اقـفزة من قمح ، وشيئـاً من زيت ، وخل ، وعسل . فلّما ولى معاوية جعل ذلك جزية عليهم ، ثمّ انّهم فتحوا ابواب المدينة ، واقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرُّهَا ، فكتب لهم عياض :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عِيَاض بن غَنْم ، أهل الرَّقّة يوم دخلها ، اعطاهـم اماناً لانفسـهم ، واموالهم وكنائسـهم ، لا تخرب ولا تسكن إذا اعطَوا الجـزية الّتى عليـهم ، ولم يحـدثوا مـغـيلة ، وعلى أن لايحـدثـوا كنيسـة ولا بيـعـة ، ولا يظهروا ناقـوساً ولا بـاعـوثاً ، ولا صليباً ، شهـد الله وكفى بالله شهيداً . وختم عـياض بخاتمه.. ويقال أنّ عياضاً ألزم كل حالم من أهل الرَّقّة أربعـة دنانير ، والثبت أنّ عمر كتب بعـدُ إلى عُمَير بن سـعد وهو واليـه ، ان ألزم كلّ امرىء منهم اربـعة دنانيرَ ، كما ألزم أهل الذهب . قـالوا : ثمّ سار عياض إلى حَرَّان فنزل بأُجدّى وبعث مقدمته . فأغلق أهل حَرَّان أبوابها دونهم ثمّ ، اتبعهم فلمّا نزل بهـا بعث إليه الحَرْنانيّة من أهلهـا يعلمونه أنّ فى أيديهم طائـفة من

---

(١) وظف عليهم : فرض عليهم .

المدينة ، ويسألونه أن يصير إلى الرُّهَا فما صالحوه عليه من شئ قنعوا به وخلُّوا بينه وبين النصارى حتَّى يصيروا إليه ، وبلغ النصارى ذلك فارسلوا إليه بالرضى بما عرض الحَرْنانيَّة وبذلوا ، فأتى الرُّهَا وقد جمع له اهلها فرموا المسلمين ساعة ، ثمَّ خرجت مقاتلتهم فهزمهم المسلمون حتَّى الجأوهم إلى المدينة ، فلم ينشبوا[1] آن طلبوا الصلح والأمان فأجابهم عياض إليه وكتب لهم كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم ، لأسقف الرُّهَا انَّكم ان فتحتم لى باب المدينة على أن تؤَدّوا إلىَّ عن كلّ رجل ديناراً ، ومديى قمح ، فأنتم آمنون على أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم وعليكم ارشاد الضالّ ، واصلاح الجسور والطرق ، ونصيحة المسلمين ، شهد الله وكفى بالله شهيداً .

وحدَّثنى داود بن عبد الحميد عن أبيه ، عن جدّه ، انَّ كتاب عياض لأهل الرُّهَا :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لاهل الرّهَا ، انّى امنتهم على دمائهم واموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم ، اذا أدّوا الحقّ الّذى عليهم ان يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالّنا ، شهد الله وملائكته والمسلمون . قال : ثمَّ آتى عياض حَرَّان ووجَّه صَفْوان بن المُعَطَّل ، وحَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى إلى

(١) لم ينشبوا : لم يلبثوا .

سُمَيْسَاط ، فصالح عياض أهل حَرَّان على مثل صلح الرَّهَا ، وفتحوا له أبوابها وولاّها رجلاً ، ثمَّ سار إلى سُمَيْساط فوجد صَفْوان ابن المُعَطَّل ، وحَبيب بن مَسْلَمَة مقيمَين ، وقد غَلَبَا على قرى وحصون من قراها وحصونها ، فصالحه أهلها على مثل صلح أهل الرّهَا ، وكان عياض يغزو من الرّهَا ثمَّ يرجع إليها . وحدَّثني محمَّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن مَعْمَر ، عن الزُّهرى قال : لم يبق بالجزيرة موضع قدم الأ فتح على عهد عمر بن الخطّاب (رضه) على يدى عياض بن غنم ، فتح حَرَّان والرّهَا والرَّقَّة وقَرْقِيسِيَا ونَصِيبِين وسِنْجار .

وحدَّثني محمَّد ، عن الواقدى ، عن عبد الرحمن بن مَسْلَمَة ، عن فُرَات ابن سَلْمَان ، عن ثابت بن الحجّاج قال : فتح عياض الرَّقَّة وحَرَّان والرّها ونَصِيبِين ومَيَّافارِقِين وقَرْقِيسِيَا ، وقرى الفرات ومدائنها صلحاً ، وارضها عنوة .

وحدّثني محمَّد ، عن الواقدى ، عن ثَوْر بن يزيد ، عن راشد بن سعد أنَّ عياضاً افتتح الجزيرة ومدائنها صلحاً وأرضها عنوة . وقد رُوى أنَّ عياضاً لمَّا أتى حَرَّان من الرَّقَّة ، وجدها خالية قد انتقل أهلها إلى الرّها ، فلمَّا فتحت الرّها ، صالحوا عن مدينتهم وهم بها ، وكان صلحهم مثل صلح الرّها .

وحدّثني أبو أيُّوب الرَّقّى المؤدِّب قال: حدّثني الحجّاج بن أبى منيع الرُّصافى عن ابيه، عن جدّه، قال: فتح عياض الرَّقَّة ثمَّ الرّها، ثمَّ حَرَّان،

ثمَّ سَمَيْساط على صلح واحد ، ثمَّ أتى سَروج وراسكيفا والأرض البيضاء ، فغلب علي أرضها وصالح أهل حصونها على مثل صلح الرها ، ثمَّ انَّ سُمَيَساط[1] كفروا ، فلمَّا بلغه ذلك رجع إليه فحاصرهاحتَّى فتحها ، وبلغه أنَّ أهل الرها قد نقضوا ، فلمَّا أناخ عليهم فتحوا له أبواب مدينتهم ، فدخلها وخلَّف بها عامله في جماعة ، ثمَّ أتى قُرَيَّات الفرات وهي جسر مَنْبِج وذواتها ، ففتحها على ذلك ، وأتى عين الوَرْدَة وهي رَأسُ الْعَيْنِ فامتنعت عليه فتركها ، وأتى تلّ مَوْزِن ففتحها على مثل صلح الرها وذلك في سنة ١٩ ، ووجَّه عياض إلى قَرْقِيسيَا حَبيبَ بن مَسْلَمَة الفِهْري ، ففتحها صلحاً على مثل صلح الرَّقَّة ، وفتح عياض آمِد بغير قتال على مثل صلح الرها ، وفتح ميَّافارِقين على مثل ذلك ، وفتح حصن كَفَرْتُوثَا ، وفتح نَصيبِين بعد قتال على مثل صلح الرها ، وفتح طُور عَبْدِين ، وحصن مَارِدين ودارا ، على مثل ذلك ، وفتح قَرْدَى وبازَبْدَى ، على مثل صلح نَصِيبِين ، وأتاه بطريق الزَّوَزان فصالحه عن أوضه على أتاوة وكلّ ذلك في سنة ١٩ ، وأيَّام من المحرَّم سنة ٢٠ ثمَّ سار إلى أرْزَن ففتحها على مثل صلح نَصِيبِين ، ودخل الدرب فبلغ بَدْلِيس وجازها إلى خلاط وصلح بطريقها ، وانتهى إلى العين الحامْضة من ارمينية فلم يعدُها ، ثمَّ عاد فضمَّن صاحب بدلْيس خراج خِلاط وجماجمها وما على بطريقها ، ثمَّ انَّه انصرف إلى الرَّقَّة ،

---

(١) يقصد أهل سميساط .

ومضى إلى حمصَ وقد كـان عمر ولاه ايَّاها ، فمات سنة ٢٠ وولّى عمر سعيـد بن عامر بن حِذْى ، فلم يلبث إلاّ قليلاً حتَّى مات ، فـولّى عمر عُمَير بن سعد الأنصارى ففتح عين الوَرْدَة بعد قتال شديد .

وقال الواقدى : حـدَّثنى من سمع اسحاق بن أبـى فرْوَة يحدّث عن أبى وهب الجَيْشـانى دَيْلَم بن المُوَسَّع ، أنَّ عمـر بن الخطَّاب « رضه » ، كتب إلى عياض يأمره أن يوجّه عُمَيـر بن سعد إلى عين الوَرْدَة ، فوجّهه إليها فقدَّم الطلائع امامه ، فـاصابوا قوماً من الفلاّحين وغنموا مواشىَ من مواشـى العدوّ ، ثـمّ أنَّ أهل المدينة غلَّقـوا أبوابها ونـصبوا الـعرّادات[1] عليها ، فقُتل من المسلمين بالحجـارة والسهام بشر ، واطلع عليهم بطريق من بطارقتها فـشتمهم ، وقال : لسنا كمن لقيتم ، ثمّ إنَّهـا فتحت بعدُ على صلح .

حدّثنى عمرو بن مـحمَّد عن الحجَّاج بن أبى مَنِيع ، عن ابيه ، عن جدّه قال : امتـنعت رأس العين على عياض بن غنم ، ففتحـها عُمَير بن سعد ، وهو والى عمر على الجزيرة ، بعـد أن قاتل أهلها المسلمين قتالا شديداً ، فدخلها المسلمون عنـوة ، ثمّ صالحوهم بعد ذلك على أن دفعت الأرض اليـهم ، ووضعت الجـزية على رؤوسهم ، على كل رأس أربـعة دنانير ، ولم تُسْبَ نساؤهم ولا أولادهم .

---

(١) العرّادات : ج عرّادة ، وهى آلة لرمى الحجارة .

وقال الحجّاج : وقد سمعت مشايخ من أهل رأس العين يذكرون آنّ عُمَيراً لمّا دخلها قال لهم ، لا بأس لا بأس ، إلىَّ الىَّ ، فكان ذلك أماناً لهم وزعم الهَيْثَم بن عَدِىّ ، انّ عـمر بن الخطّاب « رضـه » ، بعث أبا موسى الأشعـرى إلى عين الوَرْدَة ، فغزاها بجند الجزيرة بعد وفـاة عياض والثبت انّ عُمَيْراً فتـحها عنوة فلم تُسْبَ وجعل عليـهم الخراج والجزية ، ولـم يقل هذا احـد غـيـر الهَيْثَم . وقـال الحجّاج بـن أبى مَنِيع جـلا خـلق مـن أهـل رأس العين ، وآعـتمل المسلمـون أراضيـهم وإزدرعوها باقطاع .

وحدّثنى مـحمّد بن المُفَضَّل المَوْصِلى عن مـشايخ من أهل سِنْجَار ، قالوا : كانت سِنْجَار فى ايدى الروم ، ثمّ أنّ كسرى المعروف بأبَرْوِيز اراد قتل مائة رجل من الفرس كانوا حُملوا إليه بسبب خلاف ومعصية ، فكُلِم فيـهم ، فأمر أن يوجّهوا إلى سِنْجـار ، وهو يومئذ يعانى فـتحها فـمات منهم رجلان ووصل إليـها ثمـانية وتسعـون رجلاً ، فصـاروا مع المقاتلة الّذين كانوا بازائهـا ففتحـوها دونهم واقاموا بهـا وتناسلوا ، فلمّا انصرف عياض من خِلاط وصار إلى الجزيرة ، بعث إلى سِنْجار ، فـفتحها صلحا واسكنها قوماً من العرب ، وقد قال بعض الرواة آنّ عياضاً فتح حصنا من المَوْصِل ، وليـس ذلك بثبت . قـال ابن الكلبى عُمَيْر بن سـعد عـامل عمـر ، هو عُمَير بـن سعد بـن شُهَيد بن عـمرو واحـد الأوْس ، وقال الواقدى هو عُمَيـر بن سعد بن عُبَيد ، وقـتل أبوه سعد يوم القادسـية ،

وسعـد هذا هو الذى يروى الكوفيُّون انَّه احـد من جمع القرآن على عـهد رسول الله ﷺ . قـال الواقدى : وقد روى قوم أنَّ خـالد بن الوليد ولى لعمر بعض الجزيرة فاطَّلى[1] فى حمَّام بآمِد أو غيرها بشىء فـيه خمر ، فعزله عمر وليس ذلك بثبت .

وحدَّثنى عمرو الناقد قال : حدَّثنى الحَجَّاج بن ابى مَنِيع عن أبيه عن جدِّه عن مَيْمُون بن مِهْران قـال ، أخـذ الزيت والخلّ والطـعـام لمرفق المسلمين بالجزيرة مدَّة ، ثمَّ خفَّف عنهم واقـتصر بهم على ثمانية وأربعين درهماً ، وأربعة وعشرين واثنا عـشر ، نَظَرَاً من عمر للناس ، وكان على كلّ انسان مع جزيته مدّاً قمح وقسطان من زيت وقسطان من خلّ .

وحدَّثنى عدَّة من أهل الرَّقَّة ، قالوا : لمَّا مـات عياض وولى الجزيرة سعيد بن عامر بن حِذْيَم، بنى مسجد الرَّقَّة ومسجد الرُّها ثمّ توفّى فبنى المساجد بديار مُضَر وديار ربيعة عُمَير بن سعد . ثمَّ لمَّا ولى معاوية الشام والجزيرة لعـثمـان بن عفَّان «رضـه» امره أن ينـزل العرب بمواضع نائيـة عن المدن والقرى، ويأذن لهم فى اعتـمال الأرضين التى لا حق فيهـا لأحد فأنزل بنى تميم الرابيه، وانزل المازجين والمدَيْبر اخلاطاً من قيس وأسَد وغيرهم ، وفعل ذلك فى جـميع نواحى ديار مـضر ، ورتَّب ربيعـة فى ديارها على ذلك . وألزم المدن والقرى والمسالح من يقـوم بحفظها ويذبّ[2] عنها من أهل العطاء ثمَّ جعلهم من عمَّاله .

---

(١) اطَّلى : تلطَّخ .

(٢) يذبّ : يدافع ويناضل .

وحدّثني أبو حفص الشامى عن حمّاد بن عمرو النّصيبى قال : كتب عامل نَصيبين إلى معاوية وهو عامل عثمان على الشام والجزيرة يشكو اليه انّ جماعة من المسلمين ممّن معه اصيبوا بالعقارب ، فكتب إليه يأمره أن يوظّف على أهل كلّ حيّز من المدينة عدّة من العقارب مسمّاة فى كلّ ليلة ففعل ، فكانوا يأتونه بها فيأمر بقتلها .

وحدّثني أبو ايّوب المؤدّب الرّقّى عن أبى عبد الله القَرْقَسانى عن أشياخه انّ عُمَير بن سعد لمّا فتح رأس العين سلك الخابور وما يليه حتّى اتى قَرْقِيسيَا ؛ وقد نقض أهلها فصالحهم على مثل صلحهم الأوّل ، ثم اتى حصون الفُرات حصناً حصناً ففتحها على ما فتحت علىّ قَرْقِيسيَا ، ولم يلق فى شىء منها كثير قتال ، وكان بعض أهلها ربّما رموا بالحجارة ، فلمّا فرغ من تلبس وعانات ، أتى النّاوسَة وآلُوسَة وهِيت ، فوجد عمّار بن ياسر ، وهو يومئذ عامل عمر بن الخطّاب على الكوفة ، وقد بعث جيشاً يستغزى ما فوق الأنبار ، عليه سعد بن عمرو بن حَرَام الأنصارى وقد أتاه أهل هذه الحصون فطلبوا الأمان ، فأمنهم واستثنى على أهل هِيت نصف كنيستهم فانصرف عُمَير إلى الرّقّة .

وحدّثني بعض أهل العلم قال : كان الذى توجّه إلى هِيت والحصون التى بعدها من الكوفة مِدْلاج بن عمرو السّلَمى حليف بنى عبد شمس ، وله صحبة ، فتولّى فتحها وهو بنا[1] الحديثَة التى على الفُرات

(١) والصواب : بنى .

وولده بهيت وكان منهم رجل يكنّى أبا هارون باقى الذكر هناك .
ويقال : أنّ مِدلاجاً كان من قبل سعد بن عمرو بن حَرَام ، والله أعلم .

قالوا : وكان موضع نهر سعيد بنْ عبد الملك بن مروان (وهو الذى يقال له سعيد الخير وكان يظهر نسكاً) غيضة ذات سباع فاقطعه أيّاها الوليد فحفر النهر وعمّر ما هناك ، وقال بعضهم ، الّذى اقطعه ذلك عمر ابن عبد العزيز . قالوا : ولم يكن للرّافِقَة أثر قديم ، انّما بناها أمير المؤمنين المنصور «رحمه» سنة ١٥٥ على بناء مدينته ببغداد ورتّب فيها جنداً من أهل خراسان ، وجرت على يدى المهدى وهو ولىّ عهد ثمّ انّ الرشيد بنى قصورها فكان بين الرّقّة والرافقة ، فضاء مزارع ، فلمّا قدم على بن سليمان بن على والياً على الجزيرة نقل اسواق الرّقّة إلى تلك الأرض ، فكان سوق الرّقّة الأعظم فيما مضى يعرف بسوق هشام العتيق ثمّ لمّا قدم الرشيد الرّقّة استزاد فى تلك الأسواق ، فلم تزل تجتبى مع الصوافى ، وأمّا رُصافَة هشام بن عبد الملك أحدثها ، وكان ينزل قبلها الزّيتُونَة ، وحفر الهَنِىّ والمَرِىّ ، واحدث فيها واسط الرّقّة ، ثمّ إنّ تلك الضيعة قبضت فى أوّل الدولة ثمّ صارت لامّ جعفر زُبَيْدَة بنت جعفر بن المنصور ، فابتنت فيها القطيعة التى تنسب إليها وزادت فى عمارتها ولم يكن للرَّحْبَة التى فى أسفل قَرْقِيسِيَا أثر قديم انّما بناه واحدثها مالك بن طَوْق بن عتّاب التغلبى فى خلافة المأمون ، وكانت أَذْرَمَة من ديار ربيعة قرية قديمة فأخذها الحسن بن عمر بن الخطّاب التغلبى من صاحبها وبنى

بها قصراً وحصّنها ، وكـانت كَفَرْتُوثا حصناً قديماً فاتّخذها ولد أبى رِمْثَة منزلا فمدّنوها وحصّنوها .

حدّثنى مُعَافَى بن طاوس عن أبيه قال : سـألت المشايخ عن أعشار بَلَد وديار ربيعـة والبرية ، فـقال هى أعشـار ما أسلمت عليـه العرب أو عمّرته من الموات الّذى ليس فى يد احد أو رفضه النصارى ، فمات وغلت عليها الدغل فاقطعه العرب .

حدّثنى أبو عفّان الرقّى عن مشايخ من كُتّاب الرّقّة وغيرهم . قالوا : كانت عين الـرومية ومـاؤها للوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيط ، فـأعطاها ابا زُبَيْد الطائى ، ثمّ صارت لأبى العـبّاس أمير المؤمنين فأقطعـها مَيْمُون بن حمزة مـولى علىّ بن عبد الله بن عبّاس ، ثـمّ ابتاعها الرشيـد من ورثته وهى من أرض الرقّة . قـالوا : وكان ابـن هبيـرة أقطع غـابة ابن هُبيـرة فقُبِضت وأُقطعـها بِشْر بن مَيْمون صاحب الـطاقات ببغداد بناحـية باب الشام ، ثـمّ ابتاعهـا الرشيـد وهى من أرض سَرُوج ، وكان هشـام اقطع عائشة ابنته قَطِيعـة بِراً سكيفا تُعْرَفُ بها فـقبضت ، وكانت لعـبد الملك وهشـام قـريـة تدعى سَلَعُوس ونصف قـرية تـدعى كَفَرْجَداً من الرُّها ، وكانت بحَرّان للغَمْر بن يزيد تلّ عفراء وأرض تلّ مذابا[1] وأرض المُصَلّى وصوافى فى ربـض حَرّان ومسـتغلاّتها ، وكان مـرج عبـد الواحد حمى

---

(١) هكذا فى الأصل .

المسلمين قبل أن تبنى الحَدَث وزِبَطْرَة ، فلمّا بُنيتا استغنى بهما فعُمر ، فضمّه الحسين الخادم إلى الاحواز فى خلافة الرشيد ، ثمّ توثّب الناس عليه فغلبوا على مزارعه حتّى قدم عبد الله بن طاهر الشام ، فردّه إلى الضياع ، وقال أبو أيُّوب الرقّى سمعتُ انّ عبد الواحد الّذى نُسب المرج إليه ، عبد الواحد بن الحارث ابن الحكَم بن أبى العاصى وهو ابن عمّ عبد الملك ، كان المرج له فجعله حى للمسلمين وهو الّذى مدحه القُطامىُّ فقال :

أَهْلُ الْمَدِيْنَةِ لاَ يَحزُنْكَ شَأْنُهُمُ   إِذَا تَخَطَّأَ عَبْدَ الْوَاحِدِ الأَجَلُ

أمرُ نصارَى بنِي تغلِب بن وائل

حدّثنا شَيْبان بن فَرُّوح قال : حدّثنا أبو عُوانة عن المغيرة عن السَّفَّاح الشَيْبانى أنّ عمر بن الخطّاب « رضه » أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بنى تغلب فانطلقوا هاربين ولحقت طائفة منهم ببُعدٍ من الأرض فقال النعمان بن زُرْعَة أو زُرْعَة بن النعمان ، أنشدُك الله فى بنى تغلب فانّهم قوم من العرب نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم فلا يُغن عدوُّك عليك بهم ، فأرسل عمر فى طلبهم فردّهم واضعف عليهم الصدقة .

حدّثنا شَيْبان قال : حدّثنا عبد العزيز بن مُسْلِم قال : حدّثنا لَيْث

عن رجل ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبَّاس قال : لا تـوكل[1] ذبائح نصارى بنى تغلب ولا تنكح نساؤهم ليسوا منَّا ولا من اهل الكتاب .

حدّثنا عبَّاس بن هشام عن أبيه عن عُوانة بن الحكَم وأبى مخنَف قالا: كتب عُمَير بن سعد إلى عمر بن الخطَّاب « رضه » يعلمه انَّه اتى شِقّ الفُرات الشامى ؛ ففتح عانات وسائر حصون الفرات ، وانه اراد مَنْ هناك من بنى تغلب على الاسلام فأبوه وهمُّوا باللحاق بأرض الروم وقبلهم ما أراد مَنْ فى الشِقّ الشرقى عل ذلك ، فامتنعوا منه وسألوه أن يأذن لهم فى الجلاء واستطلع رأيه فيهمْ ، فكتب إليه عمر « رضه » يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التى تؤخذ من المسلمين فى كلّ سائمة وأرض ، وأن أبوا ذلك حاربهم حتَّى يبيدهم أو يُسلِموا ، فقَبِلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا أمَّا إذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فانَّا نرضى ونحفظ ديننا .

حدّثنى عمرو الناقد قال ، حدّثنى أبو معاوية ، عن الشيبانى ، عن السفَّاح ، عن داود بن كُرْدُوس قال : صالح عمر بن الخطَّاب بنى تغلب بعد ما قطعوا الفرات وارادوا اللحاق بارض الروم على أن لا يصبغوا صبيًّا ولا يكرهوه على دينهم وعلى أنَّ عليهم الصدقة مضعفة . قال : وكان داود بن كُرْدُوس يقول ليست لهم ذمّة ، لانَّهم قد صبغوا فى دينهم يعنى

---

(1) أى : لا تؤكل .

المعمودية . فحدَّثني الحسين بن الأسود قال : حدّثنا يحيى بن آدم عن ابن المبارك ، عن يونس بن يزيد الأيْلى ، عن الزُّهْرى ، قال ليس فى مواشى أهل الكتاب صدقة ، إلاّ نصـارى بن تغلب أو قال نصارى العرب الذين عامّة أموالهم ، المواشى فانّ عليهم ضعف ما على المسلمين .

حدَّثنا سعيد بن سليمان سَعْدَوَيْه عن هُشَيم عن مُغِيرة ، عن السفّاح ابن المُثَنَّى ، عن زُرْعَة بن النعـمان ، انّه كان كـلَّم عمر فى نصـارى بنى تغلب ، وقـال قوم عرب نائفـون من الجزية وانّمـا هم أصحـاب حروث ومواش ، وكان عـمر قد همَّ أن يأخذ الجـزية منهم ، فتفرَّقـوا فى البلاد فصالحـهم على أن أضعف عليهم ما يؤخذ من المسـلمين من صدقاتهم فى الأرض ، والماشية ، واشـترط عليهم ان لا ينَصِّروا اولادهم . قـال مُغيرة فكان على «عم»[1] يقول : لئن تفرَّغتُ لبنى تغلب ليكوننَّ لى فيهم رأى لاقتلنَّ مقاتلتهم ولأسبينَّ ذرّيتهم فقد نقضوا العهد وبرئت منهم الذّمة حين نَصَّروا أولادهم .

وحـدَّثنى أبو نصر التَّمَّار قـال : حـدّثنا شَريك بن عبـد الله ، عن ابراهيم بن مهاجر ، عن زيادة بن حُدَير الأسَدى ، قال : بعثنى عمر إلى نصارى بنى تغـلب آخذ منهم نصف عشـر أموالهم ، ونهـانى آن أعشِّر مسلماً أو ذميّاً يؤدّى الخراج .

حدَّثنى محمَّد بن سعـد عن الواقدى ، عن ابن أبى سَبْرَة ، عن عبد الملك بن نَوْفَل ، عن محـمَّد بن إبراهيم بن الحارث ، أنَّ عثمـان آمر ان

---

(١) عم : عليه السلام .

لا يقبل من بنى تغلب فى الجزية إلاّ الذهب والفضّة ، فجاءه الثبت أنّ عمر أخذ منهم ضعف الصدقة فرجع عن ذلك . قال الواقدى ، وقال سفيان الثّورى ، والأوزاعى ، ومالك بن أنس ، وابن أبى ذئب ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف ، يؤخذ من التغلبى ضعف ما يؤخذ من المسلم فى أرضه وماشيته وماله ، فأمّا الصبىّ والمعتوه منهم ، فأن أهل العراق يرون أن يؤخذ ضعف الصدقة من أرضه ، ولا يأخذون من ماشيته شيئاً ، قال أهل الحجار : يؤخذ ذلك من ماشيته وأرضه ، وقالوا جميعاً أنّ سبيل ما يؤخذ من أموال بنى تغلب سبيل مال الخراج ، لأنه بدل من الجزية .

الثغور الجزرية

قالوا : لمّا إستخلف عثمان بن عفّان « * » كتب إلى معاوية بولايته الشام ، وولّى عُمَير بن سعد الأنصارى الجزيرة ، ثمّ عزله وجمع لمعاوية الشام ،والجزيرة وثغورهما ، وامره ان يغزو شمْشاط وهى أرمينية الرابعة أو يُغزيها ، فوجّه إليها حَبيب بن مَسْلمَة الفِهْرى ، وصَفْوان بن مُعَطَّل السُّلَمى ، ففتحاها بعد أيّام من نزولهما عليها على مثل صلح الرُّها . وأقام صَفْوان بها ، وبها توفّى فى آخر خلافة معاوية ، ويقال : بل غزاها معاوية نفسه ، وهذان معه فولاّها صَفْوان ، فأوطنها وتوفّى بها ، قالوا : وقد كان قُسْطَنْطِين الطاغية اناخ عليها بعد نزوله فى مَلَطِيَّة فى سنة

١٣٣ فلم يمكنه فيها شيء ، فاغـار على ما حولها ثمّ انصرف ، ولم تزل شِمْشاط خراجـيَّة حتّى صيّرها المتوكل على الله « رحه » ، عـشريَّة اسوة غيرها من الثغور .

وقالوا : غزا حَبيب بن مَسْلَمَة حـصن كَمْخ ، بعد فتح شِمْشاط فلم يقدر عليـه ، وغزاه صَفْوان فلم يمكنه فتحـه ، ثمّ غزاه فى سنة ٥٩ وهى السنة التى مات فـيها ومعـه عُمَيْر بن الحُبَاب السُّلَمى فعلا عُمَيـر سوره ، ولم يزل يجالد عليه وحده حتّى كشف الروم ، وصـعد المسلمون ، ففتحهُ لعُمـيَر بن الحُبَاب ، وبذلك كان يفـخر ويُفْخَر له . ثمّ أن الروم غلبـوا عليه ففـتحه مَسْلَمَة بن عبد الملك ، ولم يزل يفـتح وتغلب الروم عليه ، فلمّا كـانت سنة ١٤٩ ، شـخص المنصـور على بغداد حـتّى نزل حَديثـة المَوْصِل ، ثمّ أغـزى مـنهـا الحــسن بن قَحْطَبَة ، وبعـده محـــمَّد بن الأشـعث ، وجـعل عليـهـما العـبَّاس بن محـمَّد ، وأمره أن يـغزو بهم كَمْخ ، فمات محمَّد بن الأشعث بآمِد ، وسار العبَّاس والحسن حتّى صارا إلى مَلَطيَّة فحملا منها الميرة ، ثمّ اناخا على كَمْخ ، وأمر العبَّاس بنصب المنجنيق عليه ، فجعلوا على حصنهم خشـب العرعر لئلاً يضرّ به حجارة المنجنيق ، ورموا المسلمين فقتلوا منهم بالحجارة مائتى رجل فاتّخذ المسلمون الدبابات ، وقاتلوا قتالا شديداً حتّى فـتحوه ، وكان مع العبَّاس بن محمَّد ابن على فى غـزاته هذه مَطَر الـورَّاق ، ثمّ إنَّ الروم اغلقـوا كَمْخ ، فلمَّا كانت سنة ١٧٧ غـزا محمَّد ابن عـبد الله بن عبـد الرحمن بن أبى عَمْرَة

الأنصارى ، وهو عامل عبد الملك ابن صالح على شِمْشاط ، فـفتحه ودخله لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، فلم يزل مفتوحاً حتّى كان هيج محمَّد بن الرشيد فـهرب اهله ، وغلبت عليه الروم ، ويقال : أنّ عبيد الله بن الأقْطَع دفعه إليهم ، وتخلّص ابنه وكان اسيراً عندهم ، ثمّ أنّ عبد الله بن طاهر فتحه فى خلافة المأمون ، فكان فى أيدى المسلمين حتّى لطف قوم من نصارى شِمْشاط وقَاليقَلاَ وبِقْراط بن أشُوط بطريق خِلاط فى دفعه إلى الروم والتـقـرُّب إليهم بذلك بسبب ضياع لهم فى عمل شِمْشاط .

ملطية

وقالوا : وجّه عِيَاض بن غَنْم ، حَبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى ، من شِمْشاط إلى مَلَطِيَّة ففتحها ، ثمّ أغلقت . فلمّا ولى معاوية الشام والجزيرة وجّه إليها حَبيب بن مَسْلَمَة ، ففتحها عنوة ورتّب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم ، فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما فكانت طريق الصوائف . ثمّ أنّ أهلها انتقلوا عنها فى أيّام عبد الله بن الزبير ، وخرجت الروم فشعّثتها[1] ثمّ تركتها فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط .

وحدّثنى محمَّد بن سعد ، عن الواقدى فى إسناده قال : كان

---

(١) شعّث الشىء : فرقه .

المسلمون نزلوا طرندة بعد أن غزاها عـبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ وبنوا بهـا مـساكن وهى مـن مَلَطِيَّة على ثلاث مـراحل واغلة فى بلاد الروم ، ومَلَطِيَّة يومـئـذ خـراب ليس بهـا الاّ ناس مـن أهل الـذمّة من الأرمن وغيرهم ، فكانت تأتيـهم طالعة من جند الجزيرة فى الصيف ، فيـقيمون بها إلى أن ينزل الشـتاء ، وتسقط الثلوج ، فإذا كـان ذلك قفلوا ، فلمّاً ولى عمر بن عـبد العزيز «رضه» رحّل أهل طرندة عنـها وهم كارهون ، وذلك لاشفاقـه عليهم من العدوّ ، واحتـملوا فلم يدعوا لهم شيـئاً حتّى كسروا خوابى الخلّ والزيت ، ثمّ أنزلهم مَلَطِيَّة ، واخرب طرندة ، وولّى على مَلَطِيَّة جَعْوَنَة بن الحـارث أحـد بنى عـامـر بن صَعْصَعَة . قـالوا : وخرج عشرون الـفاً من الروم فى سنة ١٢٣ ، فنـزلوا على مَلَطِيَّة فاغلق أهلها أبوابهـا وظهر النساء عـلى السور عليهنّ العـمائم فقـاتلن ، وخرج رسول لاهل مَلَطِيَّة مستغيثاً ، فركب البريد وسار حتّى لحق بهشام بن عبد الملك وهو بالرُّصافة ، فندب هشـام الناس إلى مَلَطِيَّة ، ثمّ أتاه الخبر بأنّ الروم قد رحلت عنها ، فدعا ، فدعا الرسـول فأخبره ، وبعث معه خيلاً ليرابط بها ، وغزا هشام نفسـه ثمّ نزل مَلَطِيَّة وعسكر عليها حتّى بُنيت ، فكان ممرّه بالرَّقّة دخلها متقلّداً سيفاً ، ولم يتقلّده قبل ذلك فى أيّامه .

قـال الواقدى : لمّا كـانت سنة ١٣٣ اقبل قُسْطَنْطِين الطاغـية عـامداً لمَلطِيَّة ، وكَمْخ يومـئذ فى أيدى المسلمـين وعليهـا رجل من بنى سُلَيم ، فبعث أهل كَمْخ الصريخ إلى أهل مَلَطِيَّة ، فـخرج إلى الروم منهم ثمانى

مائة فارس ، فواقعهم خيل الروم فهزمتهم ، ومال الرومى فأناخ على مَلَطيَّة فحصر من فيها والجزيرة يومئذ مفتونة ، وعاملها موسى بن كعب بحَرَّان فوجّهوا رسولا لهم إليه ، فلم يمكنه إغاثتهم ، وبلغ ذلك قُسْطَنْطين ، فقال لهم : يا أهل مَلَطِيَّة ، انّى لم آتكم إلاّ على علم بأمركم ، وتشاغل سلطانكم عنكم ، انزلوا على الأمان واخلوا المدينة اخربها ، وامضى عنكم ، فأبوا عليه ، فوضع عليها المجانيق ، فلمّا جهدهم البلاء ، واشتدّ عليهم الحصار ، سألوه أن يوثق لهم ففعل ، ثمّ استعدّوا للرحلة ، وحملوا ما استدقّ لهم والقوا كثيراً ممّا ثقل عليهم فى الآبار والمخابى ، ثمّ خرجوا ، وأقام لهم الروم صفّين من باب المدينة إلى منقطَع اخرهم مخترطى السيوف طرف سيف كلّ واحد منهم مع طرف سيف الذى يقابله حتّى كأنّها عقد قنطرة ، ثمّ شيّعوهم حتّى بلغوا مأمنَهم وتوجّهوا نحو الجزيرة فتفرّقوا فيها ، وهدم الروم مَلَطيَّة ، فلم يبقوا منها الاّ هُرْياً فإنّهم شعّثوا منه شيئاً يسيراً ، وهدموا حصن قَلُوذِيَة .
فلمّا كانت سنة ١٣٩ ، كتب المنصور إلى صالح بن على يأمره ببناء مَلَطِيَّة وتحصينها ، ثمّ رأى أن يوّجه عبد الوهّاب بن إبراهيم الامام والياً على الجزيرة وثغورها فتوجّه فى سنة ١٤٠ ومعه الحسن بن قَحْطَبَة فى جنود أهل خراسان ، فقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة ، فتوافى معه سبعون ألفاً ، فعسكر على مَلَطِيَّة ، وقد جمع الفَعلة من كلّ بلد ، فأخذ فى بنائها وكان الحسن بن قَحْطَبَة ، ربّما حمل الحجر حتّى يناوله البنّاء ، وجعل يغدّى الناس ويعشيهم من ماله مُبْرِزاً مطابخَهُ ، فعاظ ذلك

عبد الوهاب فكتب إلى أبى جعفر يعلمه أنَّه يطعم الناس ، وأنَّ الحسن يطعم أضعاف ذلك إلتماساً لأن يَطُوله ويُفسد ما يصنع ويُهجنه بالاسراف والرياء ، وأنَّ له مناديىن ينادون الناس إلى طعامه ، فكتب اليه أبو جعفر ، ياصبىّ يُطعم الحسن من ماله ، وتُطعم من مالى ما أُتيتَ الاَّ من صِغر خطرك وقلَّة همَّتك ، وسفه رأيك ، وكتب إلى الحسين ان اطعم ولا تتَّخذ منادياً ، فكان الحسن يقول من سبق إلى شرفة فله كذا ، فجدَّ النَاسُ فى العمل حتَّى فرغوا من بناء مَلَطيَّة ومسجدها فى ستة أشهر ، وبُنى للجند الَّذين أسكنوها لكلّ عرافة بيتان سفليَّان ، وعلِّيَّتان فوقهما ، واصطبل (والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً) ، وبنى لها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها ، ومسلحة على نهر يدعى قُباقب ، يدفع فى الفُرات واسكن المنصور مَلَطيَّة أربعة ألف مقاتل من أهل الجزيرة ، لأنَّها من ثغورهم على زيادة عشرة دنانير فى عطاء كلّ رجل ، ومعونة مائة دينار سوى الجعل الَّذى يتجاعله القبائل بينها ، ووضع فيها شحنتها من السلاح ، وأقطع الجند المزارع وبنى حصن قَلُوذِيَة ، وأقبل قُسْطَنْطِين الطَّاغية فى أكثر من مائة ألف فنزل جَيْحان فبلغه كثرة العرب فأحجم عنها .

وسمعتُ من يذكر أنَّه كان مع عبد الوهّاب فى هذه الغزاة نصر بن مالك الخُزاعى ، ونصر بن سَعْد الكاتب مولى الأنصار فقال الشاعر :

تَكَنَّفَكَ النَّصرَانِ نَصرُ بْنُ مَالِكٍ ... وَنَصرُ بْنُ سَعْدٍ عَزَّ نَصرُكَ مِنْ نَصرِ

وفى سنة ١٤١ أُغزَى مــحــمَّد بن إبراهيم مَلَطِيَّة فى جــند من أهل خراسان ، وعــلى شرطته المُسَيّب بن زُهَير ، فـرابط بها لئلاً يطمع فيــها العدوّ فـتراجع إليهــا من كان باقيــاً من أهلها ، وكــانت الروم عرضت لِمَلَطِيَّة فى خلافــة الرشيــد فلم تقدر عليــها وغــزاهم الرشيــد «رحه» ، فأشجــاهم وقمعهم . وقالوا : وجَّه أبو عبــيدة ابن الجرَّاح ، وهو بمَنْبِج خالد بن الوليــد إلى ناحية مَرْعَش فـفتح حصنهــا على أن جلا أهله ثمَّ اخربه وكان ســفيان بن عَوْف الغامــدى لمَّا غزا الروم فى سنة ٣٠ ، رحل من قبل مَرْعَش فســاح فى بلاد الروم وكان معاوية بنى مــدينة مرعش ، واسكنهــا جندا ، فلما كــان موت يزيد بن مــعاوية كــثرت غــارات الروم عليهم فانتــقلوا عنها ، وصالح عبد الملك الروم بعد مــوت ابيه مروان بن الحكم وطلبه للخــلافة على شىء كان يؤدّيه اليــهم ، فلمَّا كانت سنة ٧٤ غــزا محــمَّد بن مــروان الروم وانتقض الصلح ، ولمَّا كــانت سنة ٧٥ غــزا الصائفة أيضاً محمد بن مروان وخرجت الروم فى جمادى الأولى من قبل مَرْعَش إلى الأعمــاق فزحف اليــهم المسلمون وعليهم أبــان بن الوليد بن عُقْبَة بن أبى مُعَيط ومــعه دينار بن دينار مــولى عبد الملــك بن مروان ، وكان على قِنَّسْرِين وكــورها فالتقوا بعــمق مَرْعَش فاقتتلوا قــتالا شديداً ، فهُزِمت الروم واتّبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وكان دينار لقى فى هذا العام جماعة من الروم بجسر يَغْرا ، وهو من شِمْشاط على نحو من عشرة أميــال ، فظفر بهم ، ثمَّ أنَّ العبَّاس بــن الوليد بن عبــد الملك صار إلى

مَرْعَش فعمّرها وحصّنهـا ، ونقل الناس إليها وبنى لها مسجـداً جامعاً ، وكان يقطع في كلّ عام على أهل قِنَّسْرِين بعثاً إليها .

فلمّا كـانت أيام مـروان بن مـحـمّد وشـغل بمحـاربة أهل حِمْص خرجت الروم وحصرت مدينة مَرْعَش حـتّى صالحهم أهلها على الجلاء ، فخـرجوا نحـو الجزيرة وجند قِنَّسْرِين بعـيالاتهم ، ثمّ اخـربوها ، وكان عـامل مروان عليـها يومـئـذ الكَوْثَر بن زُفَر بن الحرث الكلابى ، وكـان الطاغية يومئذ قُسْطَنْطِين بن اليون ، ثمّ لمّا فرغ مروان من امر حِمْص وهدم سورها بعث جيْشـاً لبناء مَرْعَش فبنيت ومُدّنت فخرجت الـروم فى فتنته فاخربتها ، فبناها صِالح بن علىّ فى خـلافة أبى جعفر المنصور وحصّنها وندب الناس اليها على زيـادة العطا ، واستخلف المهدى فزاد فى شـحنتها وقوّى أهلها .

حدّثنى محـمّد بن سعد عن الواقدى ، قال خرج مـيخائيل من درب الحَدَث فى ثمانين ألفاً فأتى عمق مَرْعَش فـقتل وأحرق وسبى من المسلمين خلقاً ، وصار إلى باب مدينة مَرْعَش وبها عيسى بن علىّ ، وكان قد غزا فى تلك السنة فـخرج إليـه موالى عـيسى ، واهل المدينة ومـقاتلتـهم ، فرشقوه بالنبل والسهام فاستطرد لهم حتّى إذا نحاهم عن المدينة كرّ عليهم فقـتل من موالى عيسى ثمـانية نفر ، واعتـصم الباقون بالمدينة فـأغلقوها فحاصرهم بها ، ثمّ انصرف حتّى نزل جَيْحان وبلغ الخبر ثُمامَة بن الوَليد العَبْسى وهو بدابِق ، وكـان قد ولى الصـائفة سنة ١٦١ فوجّه إليه خـيلاً

كثيفة فأُصيبوا الاَّ من نجا منهم فأحفظ ذلك المهدى وأحتفل لاغزاء الحسن بن قَحْطَبَة فى العام المقبل وهو سنة ١٦٢ .

قالوا : وكان حصن الحَدَث ممَّا فتح أيَّام عمر فتحه حَبيب بن مَسْلَمَة من قبل عِياض بن غَنْم ، وكان معاوية يتعهَّده بعد ذلك وكان بنو أميَّة يسمُّون درب الحَدَث السلامة للطيرة ، لأنَّ المسلمين كانوا أُصيبوا به ، فكان ذلك الحدث فيما يقول بعض الناس ، وقال قوم لقى المسلمين غلام حدث على الدرب فقاتلهم فى أصحابه فقيل درب الحدث ، ولمَّا كان زمن فتنة مروان بن محمَّد ، خرجت الروم فهدمت مدينة الحَدَث وأجلت عنها أهلها ، كما فعلت بمَلَطية ، ثمَّ لمَّا كانت سنة ١٦١ خرج ميخائيل إلى عمق مَرْعَش ووجَّه المهدى الحسن بن قَحْطَبَة ساح فى بلاد الروم فثقلت وطأته على اهلها ،حتَّى صوَّروه فى كنائسهم ، وكان دخوله من درب الحدث ، فنظر إلى موضع مدينتها فأخبر أنَّ ميخائيل خرج منه فارتاد الحسن موضع مدينته هناك ، فلمَّا انصرف كلَّم المهدى فى بنائها وبناء طَرْسوس فأمر بتقديم بناء الحدث وكان فى غزاة الحسن هذه مَنْدَل العَنَزى المحدِّث الكوفى ومُعْتَمِر بن سليمان البصرى فأنشأها علىّ بن سليمان بن علىّ ، وهو على الجزيرة وقِنَّسْرِين وسمِّيت المحمَّديَّة وتوفّى المهدى مع فراغهم من بنائها فهى المهديَّة والمحمَّديَّة ، وكان بناؤها باللبن وكانت وفاته سنة ١٦٩ ، واستخلف موسى الهادى ابنه ، فعزل علىَّ بن سليمان وولَّى الجزيرة وقِنَّسْرِين محمَّد بن إبراهيم بن محمَّد بن علىّ وقد كان

على بن سليمان فرغ من بناء مدينة الحدث ، وفرض لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان فى أربعين ديناراً من العطاء ، وأقطعهم المساكن وأعطى كلّ امرىء ثلثمائة درهم ، وكان الفراغ منها فى سنة ١٦٩ ، وقال أبو الخطّاب فرض علىّ بن سليمان بمدينة الحدث ، لاربعة ألف فأسكنهم إيّاها ، ونقل إليها من مَلَطِيَّة ، وشِمْشاط وسُمَيساط وكَيْسُوم ودُلُوك ورَعْبان ، ألفى رجل .

قال الواقدى ولمّا بنيت مدينة الحدث هجم الشتاء والثلوج وكثرت الأمطار ولم يكن بناؤها بمستوثق منه ولا محتاط فيه فتثلّمت المدينة وتشعّثت ونزل بها الروم فتفرّق عنها من كان فيها من جندها وغيرهم ، وبلغ الخبر موسى فقطع بعثاً مع المُسَيِّب بن زُهَير ، وبعثاً مع رَوْح بن حاتم ، وبعثاً مع حمزة بن مالك ، فمات قبل أن ينفذوا . ثم ولى الرشيد الخلافة فأمر ببنائها وتحصينها وشحنتهما واقطاع مقاتلتها المساكن والقطائع .

وقال غير الواقدى اناخ بطريق من عظماء بطارقة الروم فى جمع كثيف على مدينة الحدث حين بنيت . وكان بناؤها بلبن قد حُمل بعضها على بعض واضرّب به الثلوج وهرب عاملها ومن فيها ودخلها العدوّ فحرّق مسجدها وأخربها وأحتمل أمتعة اهلها ، فبناها الرشيد حين استخلف .

وحدّثنى بعض أهل مَنْبِج قال ، أنّ الرشيد كتب إلى محمّد بن

إبراهيم بإقـراره على عمله فـجرى أمـر مدينة الحـدث وعمارتـها من قِبَل الرشيـد على يده ثمّ عزله ، قـالوا : وكان مالك بن عـبد الله الخَثْعَمى الذى يقال له مـالك الصوائف وهو من أهل فِلَسْطين غـزا بلاد الروم سنة ٤٦ وغنم غنائم كثـيرة ثمّ قفل ، فلمّا كـان من درب الحدث على خمـسة عشر ميلاً بموضع يدعى الرَّهْوة ، اقام فيها ثلاثاً فباع الغَنَائم وقسم سهام الغنيـمة ، فسـمِّيت تلك الرهوة رَهْوَة مـالك . قالوا : وكـان مرج عـبد الواحـد حـمى لخـيل المسلـمين فلمّا بنى الحـدث وزِبَطْرَة استـغنى عنه فازدرع[1] ، قالوا : وكـانت زِبَطْرَة حصناً قـديماً روميـاً ففتـح مع حصن الحدث القديم ، فتحه حَبِيب بن مَسْلَمة الفِهْرى وكان قائماً إلى أن اخربته الروم فى أيام الوليد بن يزيد فبنى بناء غـير مُحْكم ، فأناخت الروم عليه فـى أيَّام فـتنة مروان بن مـحمَّد فهـدمتـه فبناه المنصـور ثمّ خرجت إلـيه فشعَّثته ، فبناه الرشـيد على يدىّ محمَّد بن إبراهيم وشحنه ، فلمّا كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعَّثـوه ، واغاروا على سرح اهله فاستاقوا لهم مواشى فأمر المأمون بمرمَّته وتحصينه . وقدم وفد طاغية الروم فى سنة ٢١٠ يسأل للصلح فلم يجبـه إليه ، وكتب إلى عمَّال الثغور فـساحوا فى بلاد الروم فأكثروا فيها القتل ودوَّخوها ، وظفروا ظفراً حسناً الاَّ أنَّ يَقْظان بن عبـد الأعلى بن أحمـد بن يزيد بن أَسِيد السُّلَمى أُصـيب ، ثمّ خرجت الروم إلى زِبَطْرَة فى خلافـة المتعصم بالله أبى إسـحق بن الرشيد فـقتلوا

(١) ازدرع : طرح الزرعة أى البذر فى الأرض .

الرجال وسبوا النســاء وأخربوها فاحفظه ذلك وأغضبـه فغزاهم حتّى بلغ عَمُّوريّة ، وقد أخرب قـبلها حصونـاً فأناخ عليها ، حتّى فتحها فـقتل المقاتلة وسبى النساء والذرّيّة ثمّ أخربها وأمر ببناء زِبَطْرَة وحصّنها وشحنها فرامها الروم بعد ذلك فلم يقدروا عليها .

وحدّثنى أبو عمـرو الباهلى وغيره قالـوا : نُسب حصن منْصور إلى منصـور بن جَعْوَنَة بن الحـارث العامـرى من قـيس وذلك أنّه تولّى بناءه ومرمّته ، وكان مـقيماً به ايّام مروان ، ليردّ العدوّ ومـعه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة ، وكان منصور هذا على أهل الرُّها حين امتنعوا فى أوّل الدولة فـحصـرهم المنصـور ، وهو عامل أبـى العبّاس على الجـزيرة وأرمينية فلمّا فتحها هرب منصور ، ثمّ أُومِن فظهر فلمّا خلع عبد الله بن علىّ ابا جعـفر المنصـور ولاّه شرطته ، فلمّا هرب عـبد الله إلى البـصرة استخفى فدلّ عليه فى سنة ١٤١ فـأُتى المنصور به فقتله بالرّقّة منصرفَه من بيت المقـدس ، وقـوم يقـولون أنّه أُومِن بعـد هرب ابن علىّ فظهـر ثم وجدت لـه كتب إلى الروم بغشّ الاسـلام ، فلمّا قدم المنصـور الرّقّة من بيت المقدس سنة ١٤١ وجّه من أتاه به فضـرب عنقه بالرّقّة ، ثم انصرف إلى الهاشميّة بالكوفة .

وكان الرشيد بنى حصن منصور وشحنه فى خلافه المهدى .

نقل ديوان الرومية

قالوا ولم يزل ديوان الشـام بالروميّة حتّى ولى عبـد الملك بن مروان فلمّا كانت سنة ٨١ أمر بنقله ، وذلك أنّ رجـلاً من كُتّاب الروم احتاج ان يكتب شيئاً فلم يجد ماءً فبال فى الدواة ، فبلغ ذلك عـبد الملك فأدّبه وأمر سليمان بن سعـد بنقل الديوان ، فسأله أن يعينه بخراج الأُرْدُنّ سنة ففعل ذلك وولاّه الأُرْدُنّ فلم تنقض السنة حـتّى فرغ من نقله وأتى به عبد الملك فدعا بسَرْجون كاتبه فعرَّض ذلك عليه فغـمّه ، وخرج من عنده كئيباً ، فلقيه قـوم من كتّاب الروم ، فقال اطلبوا المعيشة مـن غير هذه الصناعـة ، فقـد قطعهـا الله عنكم ، قال ، وكـانت وظيفـة الأُرْدُنّ الّتى قطعهـا معـونة مائة ألف وثمـانين ألف دينار ، ووظيفـة فِلَسْطِين ثلاثمائة الف ، وخـمـسين الف دينار ، ووظيـفة دمـشق أربعـمـائة ألف دينار ، ووظيفة حِمْص مع قِنَّسْرين والكور التى تدعى اليوم العَوَاصِم ، ثمانى مائة ألف دينار ، ويقال سبع مائة ألف دينار .

فتوح أرمينية

حدّثنى مـحمّد بن اسمـاعيل من ساكنى بَرْذَعَة وغـيره عن أبى بَرَاء عَنْبَسَة ابن بَحْر الارمنى .

وحـدّثنى محـمّد بن بِشْر القالى عن أشـياخـه وبَرْمَك بن عبـد الله الدّيلى ، ومـحمّد بن المُخَيِّس الخِلاطى وغـيرهم عن قـوم من أهل العلم

بأمور أرمينية سقتُ حديثهم ، ورددتُ من بعضه على بعض قالوا :
كانت شِمْشاط وقاليقَلا وخلاط وأرْجيش وبَاجُنَيْس تدعى أرمينية الرابعة،
وكانت كورة البُسْفُرَّجَان ودَبيل ،وسِراج طَيْر ، وبَغْرَوَنْد ، تدعى أرمينية
الثالثة ، وكانت جُرْزان ، تدعى أرمينية الثانية ، وكانت السيسَجان وأرَّان
تدعى أرمينية الأولى ، ويقال كانت شِمْشاط وحدها أرمينية الرابعة ،
وكانت قاليقَلا وخِلاط وأرْجِيْش وبَاجُنَيس تدعى ارمينية الثالثة ،
وسراج طير وبغروند ودبيل والبُسْفَرجان تدعى أرمينية ، وسِيْسَجان وأرَّان
وتَفْلِيس تدعى أرمينية الأولى ، وكانت جُرْزان وأرَّان فى أيدى الخَزَر ،
وسائر أرمينية فى أيدى الروم يتولاَّها صاحب أرْمَنِيَاقُس، وكانت الخَزَر ،
تخرج فتغير وربّما بلغت الدَيْنَوَر فوجّه قُباذ بن فيرُوز الملك قائداً من
عظماء قوّاده فى اثنى عشر الفاً ، فوطىءَ بلاد أرَّان وفتح ما بين النهر
الَّذى يعرف بالرَّسّ إلى شَرْوان ، ثمَّ أن قُباذ لحق به فبنى بأرَّان مدينة
البَيْلَقَان ، ومدينة بَرْذَعَة وهى مدينة الثغر كلّه ، ومدينة قَبَلَة، وهى الخَزَر،
ثمَّ بنى سدَّ اللبن فيما بين أرض شَرْوان ، وباب اللاَّن ، وبنى على سُدّ
اللبن ثلاثمائة وستِّين مدينة ، خربت بعد بناء الباب والأبواب ، ثم أنَّه
ملك بعد قُباذ ابنه أنُوشِرْوان كِسْرَى ابن قُباذ فبنى مدينة الشَابِرَان ومدينةَ
مَسْقَطْ، ثمَّ بنى مدينة الباب والأبواب وإنَّما سمِّيت أبواباً لانّها بنيت على
طريق فى الجبل ، وأسكن ما بنى من هذه المواضع قوماً سمَّاهم
السِياسِجِين ، وبنى بأرض أرَّان ابواب شكَّن والقَمِيرَان وأبواب الدُّودَانِيَّة

، وهم أمــه يزعـمــون أنَّهم من بنى دُودَان بـن أسَد بن خُزَيْمَة وبنى الدُّرْذُوقيَّة ، وهى اثنا عـشر باباً كلّ باب منهـا قصر من حـجارة ، وبنى بأرض جُرْزان مدينة يقال لها سُغْدَبِيل وانزلها قوماً من السُّغْد وابناء فارس وجعلهـا مَسلحة ، وبنى ممَّايلى الروم فى بلاد جُرْزان قصـراً يقال له باب فِيرُوزِقُبَّاذ وقصراً يقال له باب لاذقَة ، وقصراً يقال له بـاب بـارقة ، وهو على بحـــر طَرَابَزُنْدَة ، وبنى باب اللاَّن وباب سَمْسَخى ، وبنـى قلعـة الجَرْدَمان وقلعـة شَمْشلْدَى ، وفتح أنُوشِرْون جـميع مـا كان فى أيدى الروم من أرمينيـة وعمر مـدينة دِبِيل وحصَّنها وبـنى مدينة النَّشَوَى وهى مدينة كـورة البُسْفُرَّجان وبنى حصن وَيْص ، وقلاعـاً بارض السِّيسَجَان ، منهـا قلعة الكِلاب ، وسـاهيونس، وأسكن هذه الحـصون والـقلاع ذوى البأس والنـجدة من سِيَاسِيجِيَّة ، ثمَّ أنَّ أنُوشِرْوان كـتب إلى ملك التُّرْك يسأله الموادعـة والصلح ، وأن يكون أمرهمـا واحداً ، وخطب إليـه ابنته ليؤنسه بذلك ، واظهـر له الرغبة فى صهره ، وبعث إليـه بأمة كانت له تبنَّتها امرأة من نسائه، وذكر أنَّها ابنته اليه ثمَّ قدم عليه فالتقيا بالبَرْشَلِيَة ، وتنادما أيَّاماً ، وأنس كلٌّ واحد منهما بصاحبه وأظهر برَّه وامر أنُوشِرْوان جماعة من خاصَّته وثقاته ، ان يُبَيِّتوا طرفاً من عسكر التُّرْكى ويحرقوا فيه ففعلوا ، فلمَّا اصبح شكا ذلك إلى أنُوشِرْوان ، فأنكر أن يكون أمر به ، أو علم أن أحداً من أصحابه فـعله ، ولمَّا مضت لذلك ليال ، أمر اولئك القوم ، بمعـاودة مثل الذى كان منهم فـفعلوا ، فضجَّ الـتُّرْكى من فعلهم حتَّى رفق بــه أنُوشِرْوان ، واعتذر اليــه فسكن ، ثــمَّ إنَّ أنُوشِرْوان ، أمر

فألقِيَت النار فى ناحية من عسكره لم يكن بها الأ اكواخ قد اتُّخذت من حشيش وعيدان ، فلما أصبح ضجّ أنُوشِرْوان إلى التُّرْكى وقال كاد أصحابك يذهبون بعسكرى ، وقد كافأتنى بالظنّة فحلف أنّه لم يعلم لشىء مما كان سبباً ، فقال أنُوشِرْوان : يا أخى جندنا وجندك قد كرهوا صحلنا لانقطاع ما انقطع عنهم من النيل فى الغارات والحروب الّتى كانت تكون بيننا ولا آمن أن يحدثوا أحداثاً يفسد قلوبنا بعد تصافينا وتخالصنا ، حتّى نعود إلى العداوة بعد الصهر والمودّة ، والرأى أن تأذن لى فى بناء حائط يكون بينى وبينك ، ونجعل عليه باباً فلا يدخل إليك من عندنا وإلينا من عندك الأ من أردتَ وأردنا ، فأجابه إلى ذلك فانصرف إلى بلاده وأقام أنُوشِرْوان لبناء الحائط ، فبناه وجعله من قبل البحر بالصخر والرصاص وجعل عرضه ثلاثمائة ذراع وألحقه برؤوس الجبال، وأمر أن تحمل الحجارة فى السفن ، وتغْريقها فى البحر حتّى إذا ظهرت على وجه الماء بنى عليها فقاد الحائط فى البحر ثلاثة أميال ، فلمّا فرغ من بنائة علّق على المدخل منه أبواب حديد ، ووكّل به مائة فارس يحرسونه بعد أن كان موضعه يحتاج إلى خمسين ألفاً من الجند ، وجعل عليه دبّابة فقيل لخاقان بعد ذلك، انّه خدعك وزوّجك غير ابنته، وتحصّن منك فلم يقدر على حيلة .

وملّك أنُوشِرْوان ملوكاً رتّبهم ، وجعلَ لكلّ امرىءٍ منهم شاهيّة ناحية فمنهم خاقان الجبل وهو صاحب السِّرير ، ويدعى وهرارزانشاه

ومنهم ملك فِيلان ، وهو فيلاَن شاه ، ومنهم طَبَرْسَرانشاه ، وملك اللَّكز ويدعى جرشانشاه ، وملك مَسْقَط وقد بطلت مملكته ، وملك ليران ويدعى لِيرانْشاه ، وملك شَرْوان ويدعى شَرْوَانْشاه ، وملّك صاحب بُخّ على بُخّ ، وصاحب زِرِيكران عليها ، وأقرّ ملوك جبل القَبَق على ممالكهم وصالحهم على الاتاوة ، فلم تزل أرمينية فى أيدى الفُرْس حتَّى ظهر الإسلام ، فرفض كثير من السِيَاسِيجِين حصونهم ومدائنهم حتَّى خربت ، وغلب الخَزَر والروم على ما كان فى أيديهم بديا[1] .

قالوا : وقد كانت أمور الروم تستتب فى بعض الأزمنة وصاروا كملوك الطوائف فملك أَرْمَنِيَاقُس رجل منهم ، ثمَّ مات فملكتها بعده امرأته ، وكانت تسمَّى قالى فبنت مدينة قالِيقَلا ، وسمَّتها قالِيقَاله ومعنى ذلك احسان قالِى ، قال : وصُوِّرت على باب من ابوابها فاعربت العرب قالِيقَاله فقالوا قالِيقَلاَ .

قالوا . ولمَّا استخلف عثمان بن عفَّان ، كتب إلى معاوية وهو عامله على الشام والجزيرة وثغورهما ، يأمره أن يوجّه حَبِيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى إلى أرمينية وكان حَبِيب ذا أثر جميل فى فتوح الشام وغزو الروم قد علم ذلك منه عمر ثمَّ عثمان «رضهما» ثمَّ مَنْ بعده ، ويقال بل كتب عثمان إلى حَبِيب يأمره بغزو أرمينية وذلك أثبت ، فنهض إليها فى ستَّة الف ، ويقال فى ثمانية ألف من أهل الشام والجزيرة ، فأتى قالِيقَلا فأناخ عليها ،

(١) بديا : واصلها بدأ ، أى فى بادىء الأمر .

وخرج إليــه أهلها فـقاتلهم ثمَّ ألجـاهـم إلى المدينة ، فطلبـوا الأمان على الجلاء والجـزية فجلا كثـير منهم فلحقـوا ببلاد الروم . واقام حَبـيب بها فيـمن معه أشهـراً ، ثمَّ بلغه انَّ بطريق أَرْمَنِيَاقُس ، قد جـمع للمسلمين جـمعـاً عظيمـاً وانضمَّت اليــه أمداد أهل اللاَّن ، وأفـخاز وسَمَنْدَر من الخَزَر ، فكتب إلى عثمان يسأله أن يُشـخص إليه من أهل الشام والجزيرة قومـاً ممَّن يرغب فى الجهـاد والغنيمـة ، فبعث إليه معـاوية ألفى رجل اسكنهم قالِيقَلا واقطعهم بها القطائع وجعلهم مرابطة بها . ولمَّا ورد على عثمان كتاب حَبيب ، كتب إلى سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أميَّة ، وهو عـامله على الكوفة يأمـره بامداده بجيش عليـه سَلْمان بن ربيعـة الباهلى ، وهو سَلْمـان الخيل ، وكان خيِّراً فـاضلاً غزَّاءً ، فـسار سلْمان الخـيل إليه فى ســتَّة الف رجل من أهل الكوفة وقـد اقبلت الروم ومن معها فنزلوا على الفُرات ، وقد ابطأ على حبيب المدد فبيَّتهم المسلمون فاجتاحوهم وقتلوا عظيمهم ، وقالت أمُّ عبد الله بنت يزيد الكلبـيَّة ، امرأة حَبيب ليلتئذ له أين موعدك قـال: سرادق الطاغية أو الجنَّة فلمَّا انتهى إلى السرادق وجدها عنده .

قالوا : ثمَّ إنَّ سلْمان ورد وقد فرغ المسلمون من عدوِّهم، فطلب أهل الكوفة إليـهم أن يشركوهم فى الغنيـمة، فلم يفعلوا حتَّى تغـالظ حَبيب وسلْمان فى القول وتوعَّد بعض المسـلمين سلْمان بالقتل ، قال الشـاعر :

إِنْ تَقْتُلُوا سَلْمَانَ نَقْتُلْ حَبِيبَكُمْ   وَإِنْ تَرْحَلُوا نَحْوَ ابْنِ عَفَّانَ نَرْحَلُ

وكتب إلى عثمان بذلك ، فكتب أنّ الغنيمة باردة لأهل الشام وكتب إلى سلْمان يأمره بغزو أرّان ، وقد روى بعضهم أنّ سلْمان بن ربيعة توجّه إلى أرمينية فى خلافة عثمان فسبى وغنم وانصرف إلى الوليد بن عُقْبَة وهو بحَديثة المَوْصِل سنة ٣٥ ، فأتاه كتاب عثمان يعلمه أنّ معاوية كتب يذكر أنّ الروم قد اجلبوا على المسلمين بجموع عظيمة يسأل المدد ، ويأمره أن يبعث إليه ثمانية آلف رجل فوجّه بهم ، وعليهم سلْمان بن ربيعة الباهلى ، ووجّه معاوية حبيب بن مَسْلَمَة الفِهْرى معه فى مثل تلك العدّة فافتتحا حصوناً وأصابا سبياً وتنازعا الامارة ، وهَمّ أهل الشام بسَلْمان فقال الشاعر :

ان تقتلوا . . . (وهو البيت السابق)

والخبر الأوّل اثبت ، حدّثنى به عدّة من مشايخ أهل قالِيقَلا وكتب إلىّ به العطّاف بن سفيان أبو الأصبغ قاضيها .

وحدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه ، قال : حاصر حَبيب بن مَسْلَمَة اهل دَبِيل فأقام عليها فلقيه المَوْرِيَان الرومى ، فبيّته وقتله وغنم ما كان فى عسكره ، ثمّ قدم سَلْمان عليه ، والثبت عندهم أنّه لقيه بقالِيقَلا .

وحدّثنى محمّد بن بشر وابن وَرْز القاليان عن مشايخ اهل قالِيقَلا ، قالوا ، لم تزل مدينة قاليقَلا مذ فتحت ممتنعة بمن فيها من أهلها حتّى خرج الطاغية فى سنة ١٣٣ ، فحصر أهل مَلَطِيّة وهدم حائطها ، وأجلى

من بها من المسلمين إلى الجزيرة ، ثم نزل مرج الحصى ، فوجَّه كوسان الأرمنى ، حتى أناخ على قالِيقَلا فحصرها ، وأهلها يومئذ قليل وعاملها أبو كَرِيمة ، فنقب أخوان من الأرمن من أهل مدينة قالِيقَلا ردماً كان فى سورها وخرجا إلى كوسان ، فأدخلاه المدينة ، فغلب عليها فقتل وسبى وهدمها ، وساق ما حوى إلى الطاغية ، وفرَّق السبى على أصحابه .

وقال الواقدى لمَّا كانت سنة ١٣٩ ، فأدى[١] المنصور بمن كان حيًّا من أسارى أهل قالِيقَلا ، وبنى قالِيقَلا وعمرها وردَّ من فادى به إليها ، وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم ، وقد كان طاغية الروم خرج إلى قالِيقلا فى خلافة المعتصم بالله فرمى سورها حتَّى كاد يسقط فانفق المعتصم عليها خمس مائة ألف درهم حتَّى حصِّنت .

قالوا : ولمَّا فتح حَبيب مدينة قالِيقَلا سار حتى نزل مربالا فأتاه بطريق خِلاط بكتاب عِياض بن غَنْم وكان عياض قد أمنه على نفسه وماله وبلاده ، وقاطعه على إتاوة فأنفذه حَبيب له ، ثم نزل منزلاً بين الهَرَك ، ودشت الورك فأتاه بطريق خلاط بما عليه من المال ، وأهدى له هدية لم يقبلها منه ، ونزل خِلاط ، ثمَّ سار منها إلى الصسانه فلقيه بها صاحب مُكْس ، وهى ناحية من نواحى البُسْفُرَّجَان فقاطعه على بلاده ووجَّه معه رجلاً وكتب له كتاب صلح وأمان ، ووجَّه إلى قرى أَرْجنيش وبَاجُنَيْس من غلب عليها وجبى جزىٰ رؤوس أهلها ، وأتاه

---

(١) أدى : أوصل .

وجوهم فقاطعهم على خراجها، فأمّا بحيرة الطِّرِّيخ فلم يعرض لها، ولم تزل مباحة حتّى ولى محمد بن مروان بن الحكم الجزيرة وأرمينية فحوى صيدها وباعه فكان يستغلّها ، ثمّ صارت لمروان بن محمّد فقبضت عنه .

قال ثمّ سار حَبيب وأتى أَرِدْسَاط ، وهى قرية القِرمِز ، وأجاز نهر الأكراد ونزل مرج دَبِيل فسرّب الخيول إليها ، ثمّ زحف حتّى نزل على بابها فتحصّن أهلها ورموه ، فوضع عليها منجنيقاً ورماهم حتّى طلبوا الأمان والصلح ، فأعطاهم أيّاه وجالت خيوله فنزلت جُرْنى[1] وبلغت آشوش وذات اللُّجُم والجبل كوته ؟ ووادى الأحرار وغلبت على جميع قرى دَبيل ووجّه إلى سِراج طَير وبَغْرَوَنْد فأتاه بَطريقها ، فصالحه عنها على أتاوة يؤدّيها وعلى مناصحة المسلمين ، وقراهم ومعاونتهم على اعدائهم ، وكان كتاب صلح دَبيل :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من حبيب بن مَسْلَمَة ، لنصارى أهل دَبيل ومجوسها ويهودها ، شاهدها وغائبهم انّى أمّنتكم على أنفسكم ، وأموالكم ، وكنائسكم ، وبيعكم ، وسور مدينتكم ، فأنتم آمنون ، وعلينا الوفاء لكم بالعهد ، ما وفيتهم وأدّيتم الجزية والخراج شهد الله ، وكفى به شهيداً . وختم[2] حبيب بن مَسْلَمَة .

ثم أتى حبيب النَّشْوَى ففتحها على مثل صلح دَبيل وقدم عليه بطريق

---

(١) وهى بلدة قرب دبيل .

(٢) أى وضع خاتمه .

البُسْفَرَّجَان فصالحه عن جميع بلاده وأرضى هصابلية ، وأفارستة ، على خرج يؤَدّيه فى كل سنة ، ثمَّ أتى السِيسَجَان فحاربهم أهلها، فهزمهم وغلب على وَلِصْ، وصالح أهل القلاع بالسِيسَجَان على خرج يؤَدّونه ثمَّ سار إلى جُرْزان .

حدَّثنى مشايخ من أهل دَبيل منهم بَرْمَك بن عبد الله قالوا : سار حَبيب بن مَسْلَمَة بمن معه يريد جُرْزان ، فلمَّا انتهوا إلى ذات اللُّجُم ، سرَّحوا بعض دوابهم ، وجمعوا لُجُمها فخرج عليهم قوم من العلوج فأعجلوهم عن الالجام فقاتلوهم ، فكشفهم[1] العلوج ، واخذوا تلك اللُّجُم وما قدروا عليه من الدوابّ ، ثمَّ أنَّهم كرُّوا عليهم ، فقتلوهم وارتجعوا ما أخذوا منهم فسمّى الموضع ذات اللُّجُم ، قالوا : وأتى حَبيباً رسول بطريق جُرْزان واهلها وهو يريدها ، فادَّى إليه رسالتهم وسأله كتاب صلح وأمان لهم فكتب حبيب إليهم :

أما بعد فانَّ نُقْلى رسولكم قدم علىَّ ، وعلى الّذين معى من المؤمنين فذكر عنكم أنَّا أمَّة أكرمنا الله وفضَّلنا وكذلك فعل الله ، وله الحمد كثيراً ، وصلَّى الله على محمَّد نبيِّه ، وخيرته من خلقه وعليه السلام وذكرتم انَّكم احببتم سِلمنا وقد قوَّمت[2] هديتكم ، وحسبتُها من جزيتكم وكتبتُ لكم اماناً واشترطت فيه شرطاً ، فان قبلتموه

---

(١) كشف : بمعنى ظهر عليه .

(٢) أى قدرت قيمتها .

ووفيتم به وإلاّ فأذنوا بحرب من الله ورسوله والسلام على من اتّبع الهدى .

ثمّ ورد تَفْلِيس وكتب لاهلها صلحاً .

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من حبيب بن مَسْلَمَة لاهل تَفْلِيس من مَنْجَلِيس ، من جُرْزان القِرْمِز بالأمان على أنفسهم ، وبيعهم ، وصوامعهم وصلواتهم ، ودينهم ، على إقرار بالصغار والجزية على كلّ أهل بيت دينار ، وليس لكم أن تجمعوا بين أهل البيوتات تخفيفاً للجزية ، ولا لنا أن نفرق بينهم استكثاراً منها ، ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله ﷺ ما استطعتم وقِرى المسلم المحتاج ليلة المعروف من حلال طعام أهل الكتاب لنا ، وإن إنقطع برجل من المسلمين عندكم فعليكم أداؤه[1] إلى أدنى فئة من المؤمنين إلاّ أن يحال دونهم ، وان أنبتم وأقمتم الصلاة فاخواننا فى الدين والاّ فالجزية عليكم ، وان عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوُكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم ، هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكته وكفى بالله شهيداً .

وكتب الجرّاح بن عبد الله الحكَمى لأهل تفليس كتاباً نسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الجراح بن عبد الله لأهل تفليس من رستاق مَنْجَلِيس ، من كورة جُرْزان ، أنّه اتونى بكتاب أمان

(١) اداؤه : ايصاله .

لهم من حبيب بن مَسْلَمَة على الاقرار بصغار الجزية ، وانّه صالحهم على ارضين لهم وكروم وأرحاء يقال لها آوارى وسابينا من رستاق مَنْجَلِيس ، وعن طعام وديدونا من رستاق قُحُويط من كورة جُرْزان على أن يؤدّوا عن هذه الأرحاء ، والكروم فى كل سنة مائة درهم بلا ثانية ، فانفذْت لهم امانهم وصلحهم ، وأمرت الايراد عليهم فمن قرىء عليه كتابى فلا يتعدَّ ذلك فيهم ان شاء الله . وكتب .

قالوا وفتح حبيب، جوارح وكسفربيس وكِسَال ، وخُان وسَمْسَخِى ، والجَرْدَمان وكستسجى ، وشَوِشْت وبَازكيت صلحا على حقن دماء أهلها وإقرار مصلّياتهم وحيطانهم وعلى أن يؤدّوا أتاوة عن أرضهم ورؤوسهم . وصالح أهل قَلَرْجيت ، وأهل ثُرْيَالِيت ، وخَاخِيط ، وخوخِيط وأَرْطَهَال وباب اللاَّل وصالح الصَّنَارِيَّة والدُّودَانِيَّة على اتاوة .

قالوا : وسار سلمان بن ربيعة الباهلى حين أمره عثمان بالمسير إلى أرَّان ، ففتح مدينة البَيْلَقَان صلحاً ، على أن أمنهم على دمائهم وأموالهم وحيطان مدينتهم ، واشترط عليهم اداء الجزية والخراج ، ثمّ أتى سلْمان بَرْذَعَة فعسكر على الثُّرْثُور وهو نهر منها على أقل من فرسخ ، فأغلق أهلها دونه أبوابهم ، فعاناها أيَّاماً وشنَّ الغارات فى قراها ، وكانت زروعها مستحصدة فصالحوه على مثل صلح البَيْلَقَان ، وفتحوا له أبوابها فدخلها وأقام بها ، ووجّه خيله ففتحت شفشين والمسفوان وأُوذ والمصريان والهرحليان ، وتبار وهى رساتيق وفتح غيرها من أرَّان ودعا

اكراد البلاسجان ، إلى الاسلام ، فقاتلوه فظفر بهم ، فاقرّ بضعهم بالجزية ، وأدّى بعض الصدقة وهم قليل .

وحدّثنى جماعة من أهل بَرْذَعَة ، قالوا كانت شَمْكور مدينة قديمة ، فوجّه سلْمان بن ربيعة الباهلى من فتحها ، فلم تزل مسكونة معمورة حتّى أخربها السّاوَرْديّة وهم قوم تجمعوا فى أيّام انصرف يزيد بن أسَيد عن أرمينية ، فغلظ أمرهم وكثرت نوائبهم ، ثمّ انّ بُغَا مولى المعتصم بالله (رحه) عمرها فى سنة ٢٤٠ وهو والى أرمينية ، وأذَرْبَيْجَان وشِمْشَاط واسكنها قوما خرجوا إليه من الخَزَر مستأمنين لرغبتهم فى الاسلام ، ونقل إليها التجار من بَرْذَعَة وسمّاها المتوكّليّة .

قالوا : وسار سلْمان إلى مجمع الرّسّ والكُرّ خلف بَرْديج فعبر الكُرّ ففتح قَبَلَة وصالحه صاحب شكّن والقَمِيبَران على اتاو ، وصالحه أهل خَيْزان وملك شَرْوان ، وسائر ملوك الجبال ، وأهل مَسْقَط والشابران ومدينة الباب ، ثمّ اغلقت بعده ، ولقيه خاقان فى خيوله خلف نهر البَلَنْجَر فقتل « رحه » فى أربعة آلف من المسلمين فكان يسمع فى مأزقهم التكبير . وكان سلْمان بن ربيعة أوّل من أستقضى بالكوفة أقام أربعين يوماً لا يأتيه خصم وقد رَوَى عن- عمر بن الخطّاب ، وفي سلْمان وقُتَيْبَة بن مُسْلِم ، يقول ابن جمانة الباهلى :

وَإِنَّ لَنَا قَبْرَيْنِ قَبْرُ بَلَنْجَرٍ

وَقَبْرُ بصِينِ استَانَ يَا لَكَ مِنْ قَبْرِ

فَذَاكَ الَّذى بِالـــــــصِّينِ عَمَّتْ فُتُوحُهُ

وهـــــــذا الَّذى يُسْقَى بِهِ سُبُلَ الــقَطْرِ

وكان مع سلْمــان ببَلَنْجَر قَرْظَة بن كعب الأنصــارى وهو جاء بنعــيه إلى عثمان .

قالوا : ولَمَّا فتح حَبيب ما فتح من أرض أرمــينية كتب به إلى عثمان ابن عفَّان ، فوافاه كتابه وقد نعى إليه سَلْمــان فهمَّ أن يولّيه جميع ارمينية ثمَّ رآى أن يجعله غازياً بشـغور الشام والجزيرة لغنائه فيـما كان ينهض له من ذلك ، فولَّى ثغــر أرمينية حُذَيفة بــن اليَمان العبسى ، فـشخص إلى بَرْذَعَة ووجَّه عمَّاله على مــا بينها وبين قاليقَلا ، وإلى خَيْزان فـورد عليه كتــاب عثـمان يأمـره بالانصــراف وتخليف صلة بن زُفَر العبـسى ، وكان معه فخــلَّفه ، وســـار حبيب راجعاً إلى الشـــام ، وكان يـغزو الروم ونزل حِمْص فنقله مـعاوية إلى دِمَشْق فتــوفِّى بها سنة ٤٢ وهو ابن ٣٥ سنة ، وكان مــعاوية وجَّه حبيــباً فى جيش لنُصــرة عثمان حين حــوصر ، فلمَّا انتهى إلى وادى القُرَى بلغه مقتل عثمان فرجع .

قالوا : وولَّى عثــمان المغيرة بن شُعْبَة أَذْرَبَيْجَان وأرمــينية ، ثمَّ عزله وولَّى القاسم بن ربيــعة بن أميَّة بن أبى الصَّلْت الثَّقَفى أرمينيــة ، ويقال ولاَّها عمرو بن مــعاوية بن المُنْتَفِق العُقَيْلى ، وبعضهم يقــول وليها رجل مــن بــنى كــلاب بعــد المُغِيــرة ١٥ سنــة ، ثمَّ وليــهـا العُقَيْلى ، وولــى

الأشعث بن قيس لعلى بن أبى طالب (رضه) ارمينية وأذربيجان ، ثمّ وليها عبد الله بن حاتم بن النعمان بن عمرو الباهلى من قبل معاوية فمات بها ، فوليها عبد العزيز بن حاتم بن النعمان اخوه ، فبنى مدينة دَبِيل وحصّنها وكبّر مسجدها ، وبنى مدينة النَّشْوَى ، ورمّ مدينة بَرْذَعَة ويقال أنّه جدّد بناءها ، واحكم حفر الفارقين حولها ، وجدّد بناء مدينة البَيْلَقَان وكانت هذه المدن متشعّثه مستهدمة ، ويقال انّ الذى جدّد بناء بَرْذَعَة محمّد بن مروان فى أيّام عبد الملك بن مروان . وقاله الوقداى : بنى عبد الملك ، مدينة بَرْذَعَة على يد حاتم بن النعمان الباهلى أوابنه ، وقد كان عبد الملك ولّى عثمان بن الوليد عُقْبَة بن أبى مُعَيْط ارمينية ، قالوا ولمّا كانت فتنة ابن الزُّبير انتقضت أرمينية وحالف أحرارها وأتباعهم ، فلمّا ولي محمّد بن مروان من قبل أخيه عبد الملك أرمينية حاربهم فظفر بهم ، فقتل وسبى وغلب على البلاد . ثمّ وعد من بقى منهم ان يعرض لهم فى الشرف ، فاجتمعوا لذلك فى كنائس من عمل خِلاط فاغلقها عليهم ووكّل بأبوابها ثمّ خوّفهم فى تلك الغزاة سُبِيت امّ يزيد بن أُسَيد من السيسَجان ، وكانت بنت بطريقها . قالوا : وولّى سليمان بن عبد الملك أرمينية عَدِىّ بن عَدِىّ بن عَميرة الكِنْدى ، وكان عَدِىٌّ بن عَمِيرة ممن نزل الرَّقّة مفارقاً لعلى بن أبى طالب ، ثمّ ولاّه آيّاه عمر بن عبد العزيز ، وهو صاحب نهر عدى بالبَيْلَقان ، وروى بعضهم انّ عامل عمر كان حاتم بن النعمان وليس ذلك بثبت ، ثمّ ولّى يزيد بن عبد الملك مِعلَق بن صفّار البَهْرانى ثمّ عزله وولّى الحارث بن عمرو

الطائى ، فغزا أهل اللُّكْز ففتح رستاق حسمدان وولى الجَرَّاح بن عبد الله الحَكَمى من مُذْحِج أرمينية ، فنزل بَرْذَعَة ، فرفع إليه اختلاف مكاييلها وموازينها ، فأقامها على العدل والوفاء واتَّخذ مكيالاً يدعى الجَرَّاحى ، فأهلها يتعاملون به إلى اليوم ، ثمَّ انَّه عبر الكُرَّ ، وسار حتَّى قطع النهر المعروف بالسَّمُّور وصار إلى الخَزَر فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وقاتل أهل بلاد حمزين ثم صالحهم على أن نقلهم إلى رستاق خَيْزان ، وجعل لهم قريتين منه وأوقع بأهل غوميك ، وسبى منهم ثم قفل فنزل شكَّى ، وشتَّى[1] جنده ببَرْذَعَة والبَيْلَقَان ، وجاشت الخَزَرَ وعبرت الرَّسَّ فحاربهم فى صحراء وَرْثَان ثم انحازوا إلي ناحية أَرْدَبيل فواقعهم على أربعة فراسخ ممايلى أرمينية فاقتتلوا ثلاثة أيام فاستشهد ومن معه فسمَّى ذلك النهر نهر الجرَّاح ، ونُسب جسر عليه إلى الجرَّاح ايضاً ، ثم ان هشام بن عبد الملك ولَّى مَسْلَمَة بن عبد الملك أرمينية ، ووجه على مقدمته سعيد بن عمرو بن اسود الحَرَشي ، ومعه اسحاق بن مُسْلِم العُقَيْلى واخوته ، وجَعْوَنَة بن الحارث بن خالد أحد بنى عامر بن ربيعة بن صَعْصَعَة وذُفافة خالد ابنا عُمَيْر بن الحُباب السُّلَمِى والفُرات بن سلمان الباهلى ، والوليد بن القَعْقاع العبسى فواقع الخَزَر وقد حاصروا وَرْثان فكشفهم عنهاوهزمهم ، فأتوا مَيْمَذ من عمل أَذْرَبَيْجان فلمَّا تهيَّأ لقتالهم أتاه كتاب مَسْلَمَة بن عبد الملك يلومه على قتاله الخَزَر قبل

---

(١) شتَّى : بالبلد أقام فيه شتاء .

قدومـه ، ويعلمـه ان قد ولّى آمر عـسكره عـبد الملك بن مُسْلم العُقَيلى ، فلمّا سلّم العســكر أخـذه رسول مَسْلَمَة فقـيَّده وحمله إلى بَرْذَعَة فـحبس فـى سـجنهـا وانصـرف الخَزَر فاتبـعهـم مَسْلَمَة وكتب بذلك إلى هشـام فكتب إليه :

أَتَتْرُكُهُم بِمَيمَذَ قَدْ تَرَاهُمْ   وَتَطْلُبُهُمْ بِمُنْقَطَعِ التُّرَابِ

وأمر باخراج الحَرَشى من السجن .

قالوا : وصالح مَسْلَمَة أهل خَيْزان وامر بحصنهـا فهُدِم واتّخذ لنفسه به ضياعاً وهى اليوم تعرف بحَوْز خَيْزَان ، وسـالمه ملوك الجبال فصار اليه شَرْوَانْشَاه ، ولِيرَانْشاه ، وطَبَرْسَرَانْشَاه ، وفيـلاَنْشَاه ، وجَرْشَانْشَاه وصار إليه صاحب مَسْقَط ، وصمد لمدينة الباب ففتحها ، وكان فى قلعتها ألف أهل بيت من الخزَر فـحاصرهم ورماهم بالحجـارة ، ثمّ تحديد اتّخَذه على هيئـة الحجـارة فلم ينتفع بذلك فـعمد إلى الـعين ، الّتى كان أَنُوشِرْوَان اجـرى منها الماءَ إلى صـهريجهم فذبـح البقر والغنم والقـى فيـه الفرث والحلتـيث فلـم يمكث مـاؤهم الاّ ليلة حـتّى دوّد وانتن وفـسـد فلمّا جنّ عليـهم الليل هربوا وأخلوا القلعة ، واسكن مَسْلَمَة بـن عبد الملك مـدينة الباب والأبواب أربعـة وعشـرين ألفاً من أهل الشام على الـعطاء ، فأهل الباب اليـوم لا يدعون عامـلاً يدخل مدينتهم الاّ ومـعه مال يفـرقه بينهم وبنـى هرياً للطعـام ، وهرياً للشـعيـر وخـزانة للسلاح ، وأمـر بكبس الصهـريج ورمّ المدينة وشرّفـهـا ، وكان مـروان بن مـحمّد مع مَسْلَمـة

وواقع[1] معه الخَزَر فـأبلى وقاتل قتالا شـديداً ، ثمّ ولّى هشام بعد مَسْلَمَة سعيـد الحَرَشى فأقام بالثغـر سنتين ، ثمّ ولّى الثغر مـروان بن محمّد ، فنزل كِسال وهو بنى مدينتهـا وهى من بَرْذَعَة على أربعين فرسخًا ، ومن تَفْلِيس على عشرين فـرسخاً ، ثم دخل ارض الخَزَر ممّا يلى باب اللاّن ، وادخلهما أَسِيـد بن زافر السُّلَمى آبا يزيد ، ومعه ملوك الجبـال من ناحية الباب ، والأبواب فـأغار مروان على صقـالبة كانوا بأرض الخَزَر ، فـسبى منهم عشـرين ألف آهل بيت فاسكنهم خَاخِيط ، ثمّ أنّهم قتلوا آمـيرهم وهربوا فلحقهم وقتلهم .

قـالوا : ولمّا بلغ عظيم الخَزَر كـثـرة من وطىءَ به مـروان بلاده من الرجال وما هم عليه فى عدّتهم وقوّتهم نخب ذلك قلبه وملأه رُعباً ، فلمّا دنا منه أرسل إليـه رسولا يدعوه إلى الاسـلام أو الحرب فـقال قـد قبلت الاسلام فأرسل إلىّ من يعرِضه علىّ ففعل ، فاظهر الاسلام ووادع مروان على أن اقرّه فى مملكتـه وسار مروان معه بخلق من الخَزَر فـانزلهم ما بين السَّمُور والشَّابران فى سهل ارض اللّكز ، ثمّ أنّ مروان دخل أرض السَّرير فأوقع بأهلها وفتح قلاعاً فيها ودان له مَلِك السرير ، وأطاعه فصالحه على ألف رأس ، خمس مائة غـلام وخمسمائة جارية سود الـشعور والحواجب فى كل سنة وعلى مـائة آلف مـدي تصبُّ فى اهراء البـاب ، وأخـذ منه الرهـن وصـالـح مـروان آهل تُومَان على مـائة رآس خـمسين جـاريـة ،

(١) أى نازل .

وخمسين غلاماً خماسيِّين سـود الشعور والحواجب ، وعشرين ألف مدي للاهراء فى كل سنة ثمَّ دخل أرض زِرِيكِران فـصالحه ملكها على خـمسين رأساً وعـشرة الف مدي للاهراء فى كلّ سنة ، ثمَّ أتى أرض حـمزين ،" فأبى حمـزين أن يصّالحه فافتتح حـصنهم بعد أن حاصرهم فيـه شهراً ، فأحـرق وأخرب وكان صـلحه ايَّاه على خمس مـائة رأس يؤَدُّونها دفـعة واحدة ، ثمَّ لا يكون عليـه سبيل وعلى أن يحـمل ثلاثين ألف مدى إلى اهراء الباب فى كلّ سنة ثمَّ اتى سدان ، فـافتحهـا صلحاً على مائة رأس يعطيه أيَّاها صاحبها دفعة ، ثمَّ لا يكون عليه سبيل فيما يستقبل وعلى أن يحمل فـى كلّ سنة إلى اهراء الباب خـمسة الف مـدي ووظَّف على أهل طَبَرْسَرَانْشَاه عـشر الف مـدي فى كلّ سنة تحـمل إلـى اهراء البـاب ولـم يوظّف على فِيلاَنْشـاه شيئاً ، وذلك لحـسن غنائه وجميل بلائه واحـماده آمره ، ثم نزل مروان على قلعة اللَّكز وقد امتنع من اداء شيء من الوظيفة ، وخرج يريد صاحب الخَزَر فقتله راعٍ بسهم رماه به وهو لا يعرفه فصالح أهل اللَّكز على عـشـرين الف مـدى تحـمل إلى الاهراء ، وولَّى عليـهم خَشْرَماً السُّلَمى ، وسار مـروان إلى قلعة صـاحب شَرْوان ، وهـى تدعى خِرش ، وهى على البحر فأدعن بالطاعة والانحدار إلى السهل ، وآلزمهم عشرة ألف مُدي فى كلّ سنة ، وجعل على صاحب شَرْوان أن يكون فى المقدمة إذا بدا المسلمون بغزو الخزر وفى الساقة اذا رجعوا ، وعلى فِيلاَنْشاه أن يغزو معهم فـقط ، وعلى طَبَرسَرَانْشاه أن يكون فى الساقة إذا بدأوا ، وفى المقدمـة إذا انصرفوا ، وسار مـروان إلى الدُّودَانِيَّة ، فأوقـاع بهم ثـم

جاءَه قتل الوليد بن يزيد ، وخـالف عليه ثابت بن نُعيم الجُذامى ، وأتى مُسافر القـصَّاب وهو ممَّن مكَّنه بالباب الضحَّاك الخارجى فـوافقه على رأيه وولاَّه أرمينية وأذَرْبَيْجَان ، وأتـى أَرْدَبِيل مستخفـياً ، فخرج مـعه قوم من الشراة منها بَاجَرْوانْ فوجدوا بها قوماً يرون رأيهم فانضموا إليهم ، فأتوا وَرْثان فصـحبهم أهلهـا بشر كثيـر كانوا على مثل رأيهم ، وعـبروا إلى البَيْلَقَان فصحـبتهم منهم جمـاعة كثيرة كـانوا على مثل رأيهم ، ثم نزل يونان ، وولّى مروان بن مـحمَّد ، اسـحاق بن مُسْلِم أرمينـية ، فلم يزل يقاتل مُسافِراً وكان فى قلعة الكِلاب بالسِّيسَجَان .

ثم لمَّا جاءت الدولة المبـاركة[1] ، وولى أبو جعـفر المنصـور الجزيرة وأرمينية فى خـلافة السفَّاح ابى العبَّاس (رحـه) وجَّه إلى مُسَافِر وأصحابه قائداً من أهل خراسان فقـاتلهم حتَّى ظفر بهم وقتل مُسَافِراً ، وكان أهل البَيْلَقَان مـتحـصِّنين فى قلعة الكِلاب ورئيـسهم قـدد بن أصفـر البَيْلَقانى فاستنزلوا بأمان ، ولمَّا استخلف المنصور (رحه) ولّى يزيد بن أُسَيد السُلَمى أرمـينيـة فـفـتح باب اللاَّن ورتَّب فـيه رابـطة من أهل الديوان ، ودوَّخ الصَّنَارِيَّة حتَّى أدُّوا الخـراج فكتب إليه المنصور يأمـره بمصاهرة ملك الخَزَر ففعل وولدت له ابنتـه منه إبناً فمات وماتت فى نفـاسها وبعث يزيد إلى نفَّاطة أرض شَرْوان ومَلاَّحاتها فجباها ، ووكَّل به وبنى يزيد مدينة أَرْجِيل الصغرى ومدينة أَرْجِيل الكبرى ، وأنزلهما أهل فِلَسْطِينَ .

---

(١) يقصد الدولة العباسية .

حدثّنى محمّد بـن اسماعيل عن جماعة من مـشايخ أهل بَرْذَعَة قالوا الشّمَاخيَّة التى فى عـمل شَرْوان نسـبت إلى الـشّمَاخ بن شُجَاع ، فكان ملك شَرْوان فى ولاية سعيد بن سالم الباهلى أرمينية .

وحدثّنى محمّد بن اسماعيل عن المشيخة ، انّ أهل أرمينية ، انتقضوا فى ولاية الحسن بن قَحطَبَة الطائى بعـد عزل ابن أُسَيـد وبكّار بن مُسْلم العُقَيلى ، وكان رئيـسهم مُوشَائِيل الارمنى ، فـبعث إليه المنصـور (رحه) الامداد ، وعليهم عامر بن إسمـاعيل فواقع الحسن موشَائِيل فقُتل وفُضَّت جمـوعه واسـتقـامت لـه الأمـور ، وهو الذى نسب إليـه نهر الحسن بالبَيْلَقـان ، والباغ الذى يعـرف ببـاغ الحسن ببَرْذَعَة والـضيـاع المعروفـة بالحَسَنيَّة ، وولى بعـد الحسن بن قَحطَبَة عـثمـان بن عُمَارة بن خُرَيْم ثم رَوْح ابن حاتم المهلّبى ثم خُزَيمة بن خازم ، ثم يزيد بن مَزْيَد الشّيبانى ، ثم عبيد الله بـن المهدى ، ثم الفضل بن يحـيى ، ثم سعيد بن سـالم ، ثـم مـحمّد بن يزيد بـن مَزْيَد ، وكان خُزَيمة أشـدّهم ولاية ، وهو الذى سنّ المساحة بدَبِيل والنَّشَوَى ولـم يكن قبل ذلك ، ولـم يزل بطارقة أرمينية مقيمين فى بلادهم يحـمى كلّ واحد منهم ناحيته ، فإذا قـدم الثغر عامل من عُمّاله داروه ، فان رأوا مـنه عفّه وصرامـة ، وكان فى قـوّة وعدّة أدّوا إليه الخراج، واذعنوا له بالطاعة والاّ اغتمزوا فيه واستخفّوا بأمره، ووليهم خالد بن يزيد بن مَزْيد فى خلافة المأمون فـقبل هداياهم، وخلطهم بنفسه فأفسدهم ذلك من فعله ، وجرّأهم على من بعده من عُمّال المأمون .

ثمّ ولّى المعتصم بالله الحسن بن علىّ الباذَغيسى ، المعروف بالمأمونى ، الثغرَ ، فأهمل بطارقته وأحراره ولان لهم حتى ازدادوا فساداً على السلطان وكَلَباً على من يليهم من الرعية وغلب إسحاق بن إسماعيل بن شُعَيب مولى بنى أميّة على جُرْزان ، ووثب سَهْل بن سَنْباط البطريق على عامل حَيْدَر بن كاوس الأَفْشِين على أرمينية فقتل كاتبه ، وأفلت بحشاشة نفسه ، ثمّ ولى أرمينية عمّال كانوا يقبلون من أهلها العفو ويرضون من خراجها بالميسور ، ثم إنّ أمير المؤمنين المتوكّل على الله ، ولّى يوسف بن محمّد بن يوسف المَرْوَزى أرمينية لسنتين من خلافته ، فلمّا صار بخِلاط أخذ بطريقها بُقْرَاط بن أشُوط فحمله إلى سُرَّ مَنْ رأى فأوحش البطارقة والأحرار والمتغلّبة ذلك منه ، ثمّ انّه عمد عامل له يقال له العَلاَء بن أحمد إلى دير بالسِّيسَجَان يعرف بدير الأقداح ، لم تزل نصارى أرمينية تعظِّمه وتهدى اليه ، فأخذ منه جميع ما كان فيه وعسف أهله فأكبرت البطارقة ذلك وأعظمته وتكاتبت فيه وحضّ بعضها على بعض الخلاف والنقض ودسّوا إلى الخويثية ، وهم علوج يعرفون بالأرْطان ، فى الوثوب بيوسف وحرّضوهم عليه لما كان من حمله بُقْراط بطريقهم ، ووجّه كلّ امرىء منهم ومن المتغلّبة خيلاً ، ورجالاً ليؤيّدوهم على ذلك فوثبوا به بطَرُون ، وقد فرق أصحابه فى القرى فقتلوه واحتووا على ما كان فى عسكره ، فولّى أمير المؤمنين المتوكّل على الله ، بُغا الكبير ارمينية ، فلمّا صار إلى بَدْلِيس أخذ موسى بن زُرَارَة ، وكان ممّن هَوِيَ قتل يوسف وأعان عليه غضباً لبُقْراط ، وحارب الخويثية ، فقتل

منهم مقتلة عظيمة وسبى سبياً كثيراً ، ثم حاصر أشُوط بن حمزة بن جاجق بطريق البُسْفُرَّجان وهو بالباق فاستنزله من قلعته وحمله إلى سُرَّ مَن رأى وسار إلي جُرْزان فظفر بإسحاق بن اسماعيل فقتله صبراً ، وفتح جُرّزان وحمل من بأرّان وظاهر آرمينية من بالسّيسَجَان من أهل الخلاف والمعصية من النصارى وغيرهم حتى صلح ذلك الثغر صلاحاً لم يكن على مثله ثمَّ قدم سُرَّ مَنْ رأى فى سنة ٢٤١ .

فتوح مصر والمغرب

قالوا : وكان عمر بن العاصي حاصر قَيْسارية بعد انصراف الناس من حرب اليَرْمُوك ، ثمَّ استخلف عليها ابنه حين ولى يزيد بن أبى سفيان ومضى إلى مصر من تِلْقَاء نفسه فى ثلثة آلف وخمس مائة ، فغضب عمر لذلك وكتب إليه يوبّخه ويعنِّفه على افْتِتانه عليه برأيه وأمره بالرجوع إلى موضعه ان وافاه كتابه دون مصر فورد الكتاب عليه وهو بالعَرِيش . وقيل أيضاً أنَّ عمر كتب إلى عمرو بن العاصى يأمره بالشخوص إلى مصر فوافاه كتابه وهو محاصر قَيْسارية ، وكان الّذى اتاه شَريك بن عَبْدَة فأعطاه الف دينار فأبى شَريك قبولها ، فسأله أن يستر ذلك ولا يُخبر به عمر .

قالوا : وكان مسير عمرو إلى مصر فى سنه ١٩ فنزل العَريش ثمَّ أتى الفَرَمَاءَ ، وبها قوم مستعدُّون للقتال فحاربهم فهزمهم وحوى

عسكرهم ومضى قُدُماً إلى الفُسْطاط فنزل جنان الرَّيْحان وقد خندق اهل الفُسْطاط ، وكان اسم المدينة اليُونة فسمَّاها المسلمون فُسْطاطاً لأنهم قالوا هذا فُسْطاط القوم ومجمعهم وقوم يقولون أنَّ عمراً ضرب بها فسطاطاً فسمِّيت بذلك .

قالوا : ولم يلبث عمرو بن العاصى وهو محاصر أهل الفُسْطاط أن ورد عليه الزُّبير بن العوَّام بن خُوَيْلد فى عشرة ألف ، ويقال فى اثنى عشر ألفاً ، فيهم خارِجَة بن حُذافة العَدَوىّ ، وعُمَير بن وهب الجُمَحى ، وكان الزبير قد همَّ بالغزو وأراد أتيان أنطاكية فقال له عمر : يا أبا الله هل لك فى ولاية مصر فقال لا حاجة لى فيها ، ولكنِّى اخرج مجاهداً وللمسلمين مُعَاوناً ، فان وجدتُ عمراً قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدتُ إلى بعض السواحل فرابطتُ به وإن وجدتُه فى جهاد كنتُ معه فسار على ذلك .

قالوا: وكان الزبير يُقَاتِل من وجه ، وعمرو بن العاصى من وجه ، ثمَّ انَّ الزبير اتى بسُلَّم فصعد عليه حتَّى أوفى على الحصن ، وهو مجرَّد سيفه فكبَّر وكبَّر المسلمون واتبعوه ، ففتح الحصن عنوة واستباح المسلمون ما فيه وأقرَّ عمرو أهله على أنَّهم أهل ذمَّة ووضع عليهم الجزية فى رقابهم والخراج فى ارضهم، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطَّاب «رضه» فأجازه ، واختطّ الزبير بمصر وابتنى داراً معروفة وايَّاها نزل عبد الله بن الزبير حين غزا افريقية مع ابن أبى سَرْح وسُلَّم الزبير باق فى مصر .

. وحدَّثنا عـفَّان بن مُسْلم قال حدَّثنا حـمَّاد بن سَلَمَة ، عن هشام بن عروة انَّ الزبير بن العوَّام بعث إلى مصر فقيل له آنَّ بها الطعن والطاعون فقال انمّا جئنا للطعن والطاعون قال فوضعوا السلاليم فصعدوا عليها .

وحدَّثنى عمرو الناقد قال : حدَّثنى عبد الله بن وهب المصرى ، عن ابن لُهَيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، أنَّ عـمرو بن العاصى دخل مصر ومعه ثلاثة الف وخمس مائة ، وكان عمر بن الخطَّاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها ، فأرسل الزبير بن العوَّام في اثنى عشـر ألفاً ، فشهد الزبير فتح مصر واختطَّ بها .

وحدَّثنى عمـرو الناقد عن عبد الله بن وهب المصـرى عن ابن لُهَيعة عن يزيد بن أبى حبيب ، عن عبد الله بن المغيرة بن أبى بُرْدَة عن سفيان بن وهب الخَوْلانى ، قال : لمَّا فـتحنا مصـر بغير عهـد قام الزبير فـقال اقسمهـا يا عمرو فأبى فقال الزبـير : والله لتقـسمنَّها كـما قسم رسول الله ﷺ خَيْبَر ، فكتب عمرو إلى عـمر فى ذلك فكتب إليه عمـر اقرّها حتَّى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلَة[1] . قال وقـال عبد الله بن وهـب ، وحدَّثنى ابن لُهَيْعة عن خـالد بن مَيْمُون ، عن عبد الله بن المُغـيرة ، عن سفـيان بن وهب بنحوه .

وحدَّثنى القاسم بن سلاَّم قـال : حدَّثنا أبو الأسود عن ابن لُهَيْعة ، عن يزيد بن أبى حـبيب ، أن عمـرو بن العاصى دخل مـصر فى ثلاثة

---

(١) الحَبَل : الولد فى بطن امه : الحَبَلة : النساء الحابلات .

ألف وخمس مـائة ، وكان عمـر قد اشفق من ذلك ، فـأرسل الزبير بن العوّام فى أثنى عشر الفاً ، فشهد معـه فتح مصر ، قال : فاختلطّ الزبير بمصر والاسكندريّة خطّتين .

وحدّثنى ابراهيم بـن مُسْلِم الخوارِزمى ، عن عبـد الله بن المبارك عن ابن لُهَيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى فِراس ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال اشتبه على الناس أمر مصر فقال قوم فُتحت عنوة ، وقال آخرون فتـحت صلحاً ، والثَلَجُ فى أمرها أنّ أبى قدمهـا فقاتله أهل اليُونة ففتـحها قهـراً وأدخلها المسلمين وكان الزبير أوّل مَنْ عَلا حـصنها فقال صـاحبـها لأبى أنّه قد بلغنا فعلكم بالشـام ، ووضعكم الجزية على النصارى ، واليهود وإقـراركم الأرض فى أيدى أهلها ، يعمرونه ويؤدّون خـراجهـا ، فان فـعلتم بنا مثل ذلك كـان أردّ عليكم من قـتلنا وسبـينا وإجلائنا ، قال : فاستشـار أبى المسلمين فاشاروا عليه بأن يفعل ذلك إلاّ نفر منهم سألوا أن يقـسـم الأرض بينهم ، فوضع على كلّ حالم دينارين جـزية ، إلاّ أن يكون فـقـيراً ، وألزم كلّ ذى أرض مـع الدينارين ثلاثة أرادب حنطة ، وقـسـطىّ زيت ، وقـسطىّ عـسل ، وقـسـطىّ خلّ رزقـاً للمسلمين تجمع فى دار الرزق وتقسم فيـهم وأُحْصِى المسلمون فالزم جميع أهل مصر لكلّ رجل منهم جبّة صوف وبرنساً أو عمامة وسراويل وخفّين فى كلّ عام ، أو عـدل الجبّة الصـوف ثوباً قِبْطِياً ، وكتب علـيهم بذلك كتاباً ، وشرط لهم إذا وفوا بذلك أن لا تباع نساؤهم وأبناؤهم ولا يُسبوا

وأن تُقَرَّ اموالهم وكنوزهم فى أيديهم فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين عمر فأجازه ، وصارت الأرض أرض خراج ، إلاّ أنّه لمّا وقع هذا الشرط والكتاب ظنّ بعض الناس أنّها فتحت صلحاً . قال ولمّا فرغ ملك اليُونة من أمر نفسه ومن معه فى مدينته صالح عن جميع أهل مصر على مثل صلح اليُونة ، فرضوا به وقالوا : هؤلاء الممتنعون قد رضوا وقنعوا بهذا فنحن به أقنع لأنّنا فرش لا منعة لنا ، ووضع الخراج على أرض مصر فجعل على كلّ جريب ديناراً وثلاثة أرادب طعاماً ، وعلى رأس كلّ حالم دينارين ، وكتب بذلك إلى عمر بن الخطّاب « #» .

وحدّثنى عمرو الناقد ، عن عبد الله بن وهب المصرى، عن اللّيث ، عن يزيد بن أبي حبيب انّ المُقَوْقِس صالح عمرو بن العاصى على أن يسير من الروم من أراد ويقرّ من أراد الاقامة من الروم على أمر سمّاه ، وأن يفرض على القِبْط دينارين فبلغ ذلك ملك الروم فتسخطه وبعث الجيوش فأغلقوا باب الاسكندرية وآذنوا عَمْرًا بالحرب ، فخرج إليه المُقَوْقِس فقال: أسألك ثلاثاً أن لا تبذل للروم مثل الّذى بذلت لى ، فانّهم قد استغشّونى ، وان لا تنقض بالقِبْط فانّ النقض لم يأت من قبلهم ، وإن متّ فمُرْ بدفنى فى كنيسة بالاسكندرية ذكرها ، فقال عمرو هذه اهونهنّ على ، وكانت قرى من مصر قاتلت فسبى منهم ، والقرى بِلْهيت والخَيْس وسُلْطَيْس فوقع سباؤهم بالمدينة ، فردّهم عمر بن الخطّاب وصيّرهم وجماعة القِبْط أهل ذمّة ، وكان لهم عهد لم ينقضوه ، وكتب عمرو بفتح الاسكندرية إلى عمر .

أمَّا بعد فـانَّ الله قد فتح علينا الاسكندرية عنوة قـسراً بغير عـهد ولا عقد وهى كلُّها صلح فى قول يزيد بن أبى حبيب .

حدَّثنـى أبو أيُّوب الرَّقّى ، عن عبـد الغفَّار ، عن ابن لُهـيْعة ، عن يزيد بن أبى حـبيب قـال : جبى عـمرو خراج وجـزيتهـا ألفى ألف ، وجباها عـبد الله بن سعد بن أبـى سَرْح أربعة ألف ألف ، فقال عـثمان لعمرو أنَّ اللقاح بمصر بعدك قد درَّت ألبانها ، قال : ذاك لانَّكم أعجفتم أولادها . قال : وكـتب عـمـر بن الخطَّاب فى سنة ٢١ إلى عـمـرو بن العاصي يعلمه ما فيه أهل المدينة من الجـهد ، ويأمره أن يحمل ما يقبض من الطعام فى الخـراج ، إلى المدينة فى البحـر فكان ذلك يُحْمَل ويحمَل معـه الزيت ، فإذا ورد الجار تولّى قبـضه سعـد الجار ، ثمَّ جُعل فى دار بالمدينة ، وقسم بين الناس بمكيال ، فـانقطع ذلك فى الفتنة الأولى ، ثمَّ حُمل فى ايَّام معاوية ويزيد ، ثمَّ انقطع إلى زمن عبد الملك بن مروان ثمَّ لم يزل يحمل إلى خلافة أبى جعفر وقُبَيلها .

وحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم قال حدَّثنى أبو صـالح عبد الله بن صالح ، عن اللَّيث بن سـعـد ، عن يزيد بن أبى حـبيب أنَّ أهل الجـزية بمصـر صولحوا فى خـلافة عمر بعـد الصلح الأوّل مكان الحنطة والزيت والعسل والخلّ على دينارين دينارين فالزم كلُّ رجل اربعـة دنانير فرضـوا بذلك وأحبُّوه .

وحدَّثنى أبو أيُّوب الرَّقّى قـال : حدَّثنى عبد الغـفَّار الحرَّانى عن ابن

لهيعة ، عن يزيد بن أبى حبيب عن الجَيْشانى ، قال سمعتُ جماعة ممَّن شهد فتح مصر يخبرون أنَّ عمرو بن العاصي لمَّا فتح الفُسْطاط ، وجَّه عبد الله بن حُذافة السَّهْمى إلى عين شَمْس ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها علي مثل حكم الفُسْطاط ، ووجَّه خَارِجَة بن حُذافة العَدَوىَّ إلى الفَيُّوم والأُشْمُونَيْن وإخْمِيم والبَشْرُودَات وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك ، ووجَّه عُمَير بن وهب الجُمَحى إلى تِنِّيس ودمْياط وتُونَة ودَميرة وشَطَا ودِقَهْلَة وبنَا وبُوصِير ، ففعل مثل ذلك ووجهّ عُقْبَة بن عامر الجُهَنى ويقال وَرْدان مولاه صاحب سوق وَرْدان بمصر إلى سائر قرى أسفل الأرض ففعل مثل ذلك ، فاستجمع عمرو بن العاصى فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج .

وحدَّثنا القاسم بن سلاَّم قال حدثنا عبد الغفَّار الحرَّانى عن ابن لُهَيعة عن إبراهيم بن محمَّد ، عن ايُّوب بن أبى العالية عن أبيه قال سمعتُ عمرو بن العاصى يقول على المنبر لقد قعدتُ مقعدى هذا وما لأحد من قِبط مصر علىَّ عهد ولاعقد ، ان شئتُ قتلتُ ، وان شئتُ خمستُ ، وان شئتُ بعتُ ، الاّ أهل أَنطابُلُس فانَّ لهم عهداً يوفى لهم به .

وحدَّثنى القاسم بن سلاَّم قال حدَّثنى به عبد الله بن صالح ، عن موسى بن على بن رِباح اللَّخْمى ، عن أبيه قال المغرب كلُّه عنوة .

حدَّثنا أبو عبيد عن سعيد بن أبى مريم عن ابن لُهَيعة عن الصَّلْت ابن أبى عاصم كاتب حيَّان بن شُرَيح انَّه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز

إلى حيَّان ، وكان عامله على مصر أنّ مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد .

وحدَّثني أبو عبيدة قال حدَّثنا سعيد بن أبي مريم ، عن يحيى بن أيُّوب ، عن عبيد الله بن أبي جعفر قال كتب معاوية إلى وَرْدان مولى عمرو أن زد على كلّ امرىءٍ من القِبْط قيراطاً ، فكتب اليه كيف أزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم .

وحدَّثني محمَّد بن سعد ، عن الواقدي ، عن عبد الحميد بن جعفر ، عن أبيه ، قال : سمعت عروة بن الزبير يقول : أقمت بمصر سبع سنين ، وتزوَّجت بها فرأيت أهلها مجاهيد ، قد حمل عليهم فوق طاقتهم ، وإنَّما فتحها عمرو بصلح وعهد وشيء مفروض عليهم .

وحدَّثني بكر بن الهَيْثَم ، عن عبد الله بن صالح ، عن الليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي عِلاَقَة ، عن عُقْبَة بن عامر الجُهَني قال : كان لأهل مصر عهد وعقد كتب لهم عمرو أنَّهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم ، لا يباع منهم أحد ، وفرض عليهم خراجاً لايزاد عليهم ، وأن يدفع عنهم خوف عدوّهم قال عقبة ، وأنا شاهد على ذلك .

وحدَّثني الحسين بن الأسود ، قال حدَّثني يحيى بن آدم ، عن عبد الله بن المبارك ، عن ابن لَهِيْعَة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن من سمع عبد الله بن المُغيرة بن أبي بُرْدَة قال : سمعتُ سفيان بن وهب

الخَوْلانى يقول : لمّا افتتحنا مصر بلا عـهد قام الزُّبَير بن العوّام فقال : يا عمـــرو اقـسمــها بيـننا ، فقال عـمرو لا والله لا أقسمهـا حتّى أكتب إلى عمر ، فكتب إلى عمر ، فكتب اليه فى جواب كتابه أن أقرّها حتّى يغزو منها حَبَلُ الجَبَلَة (أو قال يغدو) .

وحدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى محمّد بن عمر عن أُسامة بن زيد بن أَسْلَم ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : فتح عمرو بن العاصى مصر سنة ٢٠ ومعه الزبير ، فلـمّا فتحها صالحه أهل البلد على وظيـفة وظّفها عليهم ، وهى ديناران على كلّ رجل ، وأخرج النساء والصبيان من ذلك فبلغ خراج مصر فى ولايـته ألفى ألف دينار ، فكان بعد ذلك يبلغ أربعة ألف ألف دينار . وحدثنى أبو عبيد قـال : حدّثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن أبى حبيب ، أنّ المُقَوْقِس صاحب مـصر صالح عمرو ابن العـاصي ، على أن فـرض على القـبط دينارين ، فـبلغ ذلك هِرَقْل صاحب الروم ، فـسخط أشدّ السخط ، وبعث الجـيوش إلى الاسكندرية واغلقها ، ففتحها عمرو بن العاصى عنوة . وحدّثنى ابن القَتّات وهو أبو مـسعـود ، عن الهَيْثم عن المُجـالِد ، عن الشّعْبى انّ علىّ بن الحـسين أو الحسين نفسه كلّم معاوية فى جزية أهل قرية أمّ ابراهيم بن رسول الله ﷺ بمصر فوضعها عنهم ، وكان النبى ﷺ يوصى بالقِبْط خيراً .

وحدّثنى عمرو ، عن عـبد الله بن وهب ، عن مالك والليث ، عن الزُّهْرى ، عن ابن لِكَعْب بن مـالك انّ النبى ﷺ قال : « اذا افـتتـحتم

مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فانَّ لهم ذمَّة ورحماً ، وقال الليث كانت امّ اسماعيل منهم .

حدَّثنى أبو الحسن المدائنى عن عبد الله بن المبارك قال كان عمرو بن الخطَّاب يكتب اموال عمَّاله اذا ولأّهم ، ثمَّ يقاسمهم ما زاد على ذلك ، وربمَّا أخذه منهم ، فكتب إلى عمرو بن العاصى أنَّ قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان لم يكن حين وليت مصر ، فكتب إليه عمرو انَّ ارضنا ارض مزدرع ومتجر فنحن نصيب فضلاً عن ما نحتاج إليه لنفقتنا ، فكتب إليه انّى قد خبرتُ من عمَّال السوء ما كفى ، وكتابك إلىّ كتاب من قد أقلقه الأخذ بالحقّ ، وقد سؤتُ بك ظنًا ، وقد وجهتُ إليك محمَّد بن مَسْلَمَة ليقاسمك مالك ، فاطلعه طلعة وأخرج اليه ما يطالبك ، وأعْفِه من الغلظة عليك ، فانَّه برَّح الخفاء فقاسَمُ ماله .

حدّثنى المدائنى ، عن عيسى بن يزيد قال : لمَّا قاسم محمَّد بن مَسْلَمَة عمرو بن العاصى ، قال عمرو انَّ زماناً عاملنا فيه ابن حَنْتَمَة هذه المعاملة لزمان سوء ، لقد كان العاصى يلبس الخزّ بكفاف الديباج ، فقال محمَّد مَهْ[1] لولا زمان ابن حَنْتَمَة ، هذا الّذى تكرهه أُلْقيت مُعْتَقِلاً عَنْزاً بفناء بيتك يسرّك غزرها ، ويسوءُك بكوءُها ، قال انشدك الله أن لا تخبر

---

(١) مه : بمعنى اسكت .

عمر بقولى فانّ المجالس بالأمانة ، فقال لا أذكر شيئاً ممَّا جرى بيننا وعمر حيّ .

وحدَّثنى عمرو الناقد ، عن عبد الله بن وهب ، عن ابن لَهِيْعَة ، عن عبد الله بن هُبَيْرة انّ مصر فتحت عنوة . وحدَّثنى عمرو ، عن ابن وهب ، عن ابن لَهِيْعَة ، عن ابن أَنْعَم عن أبيه ، عن جدّه وكان ممَّن شهد فتح مصر ، قال فتحت مصر عنوة بغير عهد ولا عقد .

فتح الإسكندرية

قالوا : لَمَّا افتتح عمرو بن العاصى مصر أقام بها ، ثمَّ كتب إلى عمر بن الخطَّاب يستأمره فى الزحف إلى الإسكندرية ، فكتب إليه يأمره بذلك ، فسار إليها فى سنة ٢١ ، واستخلف على مصر خارِجَة بن حُذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عَوِيج بن عَدِيّ بن كَعب بن لؤىّ بن غالب، وكان مَنْ دون الإسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له وقالوا نغزوه بالفسطاط قبل ان يبلغنا ، ويروم الاسكندرية ، فلقيهم بالكِرْيَوْن فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وكان فيهم من أهل سَخَا وبِلْهِيت والخَيْس وسُلْطَيْس وغيرهم قوم رفدوهم وأعانوهم ، ثمَّ سار عمرو حتَّى انتهى إلى الاسكندرية ، فوجد أهلها معدّين لقتاله ، الاَّ آنَّ القبط في ذلك يحبُّون الموادعة فأرسل اليه المُقَوْقِس يسأله الصلح والمهادنة إلى مدَّة ، فأبى عمرو ذلك ، فأمر المُقَوْقِس النساء أن يقمن على سور

المدينة مقبلات بوجوههنّ إلى داخله ، وأقام الرجال فى السلاح مقبلين بوجوههم إلى المسلمين ليرهبهم بذلك فأرسل إليه عمرو آنّا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غَلَبْنَا مَنْ غَلَبْنَا ، فقد لقينا هِرَقْل ملككم ، فكان من أمره ما كان . فقال المُقَوْقِس لأصحابه قد صدق هؤلاء القوم ، أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتّى أدخلوه القسطنطينيّة ، فنحن أولى بالاذعان ، فأغلظوا له القول وأبوا إلاّ المحاربة ، فقاتلهم المسلمون قتالا شديداً ، وحصروهم ثلاثة أشهر ، ثمّ إنّ عمراً فتحها بالسيف ، وغنم ما فيها ، واستبقى أهلها ولم يقتل ، ولم يسبِ ، وجعلهم ذمّة كأهل اليُونة ، فكتب إلى عمر بالفتح مع معاوية بن حُدِيج الكِنْدى ، ثمّ السَّكُونى ، وبعث إليه معه بالخمس . ويقال أنّ المُقَوْقِس صالح عمراً على ثلاثة عشر ألف دينار ، على أن يخرج من الإسكندرية من أراد الخروج ، ويقيم بها من أحبّ المقام ، وعلى أن يفرض على كلّ حالم من القبط دينارين ، فكتب لهم بذلك كتابا ، ثمّ أنّ عمرو بن العاصى استخلف على الاسكندرية عبد الله بن حُذافة بن قيس بن عَدِىّ بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لُؤَىّ فى رابطة من المسلمين ، وانصرف إلى الفسطاط وكتب الروم إلى قُسْطَنْطين بن هِرَقْل ، وهو كان الملك يومئذ يخبرونه بقلّة من عندهم من المسلمين وبما هم فيه من الذلّة ، وأداء الجزية ، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له مَنُويل فى ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة ، فدخل الاسكندرية وقتل من بها من روابط المسلمين الاّ من لطف للهرب فنجا وذلك فى سنة ٣٥ ، وبلغ عمْراً الخبر فسار اليهم

فى خمسة عشر ألفاً ، فوجد مقاتلتهم قد خرجوا يعيثون فيمايلى الاسكندرية من قرى مصر ، فلقيهم المسلمون فرشقوهم بالنشّاب ساعة ، والمسلمون مترّسون ، ثمّ صدقوهم الحملة فالتحمت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثمّ أنّ أولئك الكفرة ولّوا منهزمين ، فلم يكن لهم ناهياً ولا عرجة دون الاسكندرية فتحصّنوا بها ونصبوا العرّادات[1] فقاتلهم عمرو عليها أشدّ قتال ، ونصب المجانيق فأُخذت جُدُرُها ، والحّ بالحرب حتّى دخلها بالسيف عنوة فقتل المقاتلة وسبى الذرّيّة وهرب بعض رومها إلى الروم ، وقُتل عدوّ الله مَنُويل ، وهدم عمرو والمسلمون جدار الاسكندرية ، وكان عمرو نذر لئن فتحها ليفعلنّ ذلك . وقال بعض الرواة إنّ هذه الغزاة كانت فى سنة ٢٣ ، وروى بعضهم انّهم نقضوا فى سنة ٢٣ ، وسنة ٢٥ والله أعلم .

قالوا : ووضع عمرو على أرض الاسكندرية الخراج ، وعلى أهلها الجزية ، وروى أنّ المُقَوْقِس اعتزل أهل الاسكندرية حين نقضوا فأقرّه عمرو ومن معه على أمرهم الأوّل ، وروى أيضاً انّه قد كان مات قبل هذه الغزاة . حدّثنى محمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن اسحاق بن عبد الله بن ابى فَرْوَة ، عن حيّان بن شُرَيح ، عن عمر بن عبد العزيز «رضه» أنّه قال لم نفتح قرية من المغرب على صلح إلاّ ثلاثاً : الاسكندرية ، وكفرطيس ، وسُلْطَيس ، فكان عمر يقول من أسلم من أهل هذه المواضع خلّى سبيله وسبيل ماله .

---

(١) العرّادات: ج عرّادة، وهى آلة حربية لرمى الحجارة.

حدثّنى عمرو الناقد قال حدثنا ابن وهب المصرى ، عن ابن لُهَيْعَة ، عن يزيد بن أبى حبـيب ، انه قال افتـتح عمرو بن الـعاصى الاسكندرية فـسكنهـا المسلمـون فى رباطهم ، ثم غـزوا وابتـدروا إلي المنازل ، فكان الرجل يأتى المنزل الّذى كان ينزله فيجد صاحبه قد نزله وبدر إليه ، فقال عـمرو : انّى اخـاف ان تخرب المنازل اذا كنتـم تتعـاودونها ، فلمّا غـزا فصاروا عنـد الكرْيَوْن ، قـال لهم سيـروا على بركة الله ، فمن ركز منكم رمحاً فى دار فـهى له ولبنى ابيه ، فكان الرجل يدخل الدار فيركـز رمحه فى بعض بيوتها ، ويأتى الآخر فيركز رمحه كذلك أيضاً ، فكانت الـدار بين النفسين والثـلاثة ، فكانوا يسكنونها فاذا قـفلوا سكنها الروم ، فكـان يزيد بن أبى حبيب يقول لا يحلُّ لأحـد شىء من كرائها ، ولا تـباع ولا تورث انّما كانت لهم سكنى أيّام رباطهم ، فلمّا كان قتالها الآخـر وقدمها مَنُويل الرومى الخصىّ، أغلقـها اهلها ففـتحها عمـرو واخرب سـورها . قالوا : ولمّا ولّى عمرو وَرْدان مولاه الاسكندرية ورجع إلـى الفـسطاط فلم يلبث الاّ قليـلاً حتّى اتاه عزله فـولّى عثـمان بعده، عـبـد الله بن لُؤَىّ ، وكان اخـا عثمان من الرضاعـة ، وكانت ولايته فى سـنة ٢٥ . ويقال : إنّ عبد الله بن سـعد ، كان على خراج مصـر من قبـل عثمـان ، فجرى بينه وبين عمرو كلام ، فكتب عبد الله يشـكو عمْراً فعـزله عثمان وجـمع العـملين لعـبد الله بن سعد ، وكتب اليه يعلمه انّ الاسكندرية فتحت مرّةً عنوة وانتقضت مرّتين، ويأمره أن يلزمها رابطة لا تفـارقها وان يدرّ عليهم الأرزاق ويعقب بينهم فى كلّ ستّة أشهر .

وحدّثنى محمد بن سعد عن الواقدى انّ ابن هُرْمُز الأعرج القارئ كان يقول خير سواحلكم رباطاً الاسكندرية ، فخرج إليها من المدينة مرابطاً فمات بها سنة ١١٧ .

وحدّثنى بكر بن الهَيْثَم ، عن عبد الله بن صالح ، عن موسى بن علىّ ، عن ابيه قال : كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر ألف دينار فلمّا كانت ولاية هشام بن عبد الملك بلغت ستّة وثلاثين ألف دينار .

حدّثنى عمرو ، عن ابن وهب ، عن ابن لَهِيعَة ، عن يزيد بن أبى حبيب قال : كان عثمان عزل عمرو بن العاصى عن مصر ، وجعل عليها عبد الله بن سعد ، فلمّا نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان ان يقرّ عمراً حتّى يفرغ من قتال الروم لأن له معرفة بالحرب وهيبة فى أنفس العدوّ ففعل حتّى هزمهم ، فاراد عثمان أن يجعل عمراً على الحرب ، وعبد الله على الخراج فأبى ذلك عمرو وقال أنا كماسك قرنى البقرة ، والأمير يحلبها فولّى عثمان بن سعد مصر ، ثمّ اقامت الحبش من البيما بعد فتح مصر يقاتلون سبع سنين ما يقدر عليهم لما يفجرون من المياه فى الغياض . قال عبد الله بن وهب ، وأخبرنى الليث بن سعد ، عن موسى بن على ، عن أبيه أنّ عمراً فتح الاسكندرية الفتح الآخر عنوة فى خلافة عثمان بعد وفاة عمر « رحه » .

فتح برقة وزويلة

حدثنى محمد بن سعد، عن الواقدى ، عن شُرَحْبِيل بن أبى عَوْن ، عن عبد الله بن هُبَيْرَة قال لمّا فتح عمرو بن العاصى الاسكندرية سار فى جنده يريد المغرب حتّى قدم بَرْقَة ، وهى مدينة انْطَابُلُس ، فصالح أهلها على الجزية وهى ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبُّوا بيعه . حدثنى بكر بن الهَيْثَم ، قال حدثنا عبد الله بن هُبَيْرَة قال : صَالَح عمرو بن العاصى أهل انْطَابُلُس ومدينتها بَرْقَة وهى بين مصر وإفريقية بعد أن حاصرهم وقاتلهم على الجزية ، على أن يبيعوا من أبنائهم من أرادوا فى جزيتهم ، وكتب لهم بذلك كتاباً .

حدثنى محمد بن سعد ، عن الواقدى ، عن مَسْلَمَة بن سعيد عن اسحق بن عبد الله بن أبى فَرْوَة قال : كان أهل برقة يبعثون بخراجهم إلى والى مصر من غير أن يأتيهم حاثّ أو مستحثّ فكانوا اخصب قوم بالمغرب ، ولم يدخلها فتنة . قال الواقدى وكان عبد الله بن عمرو بن العاصي يقول : لولا مالى بالحجار لنزلت برقة فما أعلم منزلاً أسلم ولا أعزل منها .

وحدثنى بكر بن الهَيْثَم ، قال حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية ابن صالح قال : كتب عمرو بن العاصى إلى عمرو بن الخطّاب يعلمه أنّه قد ولّى عُقْبَة بن نَافِع الفِهْرى المغرب ، فبلغ زَوِيلَة ، وانّ مَن بين زَوِيلَة

وبَرْقَة سلم كلُّهم حسنة طاعـتهم قد ادّى مسلمـهم الصدقة واقرّ مـعاهدهم بالجـزية ، وانّه قد وضـع عـلى أهـل زويلـة ومن بينه وبيـنها مـا رأى أنّهم يطيـقـونه ، وأمر عـمّاله جمـيعـاً أن يأخذوا الصـدقة من الأغنـياء فيردّوها فـى الفـقـراء ، ويأخذوا الجزية من الذّمـة فتحمل إليـه بمصر ، وأن يؤخـذ من أرض المسلمين العـشر ونصف العشـر ، ومن أهل الصلح صلحهم .

وحدّثنى بكـر بن الهَيْثَم قال سألت عـبد الله بن صالـح عن البربر فقال هم يزعمون انّهم ولد برّ بن قـيس وما جعل الله لقيس ولداً يقال له برّ ، وأنّما هم من الجـبّارين الّذين قاتلهم داود «عم» وكـان منازلهم على ايادى الدهر فِلَسطِين ، وهم أهل عَمُود ، فـأتوا المغـرب فـتناسلوا به ، حدّثنا أبو عبيد القاسم بن سـلاّم قال حدّثنا عبد الله بن صالح عن الليث ابن سعد عن يزيد بن أبـى حبيب أن عمرو بن العـاص كتب فى شرطه على أهل لَوَاتَة من البـربر من أهل برقة ، انّ عليكم ان تـبيعـوا ابناءكم ونساءكم فيما عليكم من الجزية ، قـال الليث فلو كانوا عبـداً ما حلّ ذلك منهم . وحدّثنى بكر بن الهَيْثَم ، قال حـدثنا عبد الله بن صالح عن ابن لُهَيْعَة ، عن يزيد بن أبى حـبيب أنّ عـمـرو بن عبـد العزيز كـتب فى اللّوَاتيّات انّ من كانـت عنده لواتية فليـخطبهـا إلى ابيها أو فلـيردها إلى أهلها ، قال ولَوَاتَة قرية من البربر كان لهم عهد .

فتح أطرابلس

فحدَّثنى بكر بن الهَيْثَم عن عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة ، قال سار عمرو بن العاصى حتَّى نزل أطْرَابُلُس فى سنة ٢٢ فقوتل ثمَّ افتتحها عنوة ، وأصاب بها أحمال بزيون كثيرة مع تجار من تجارها فباعه وقسم ثمنه بين المسلمين ، وكتب إلى عمر ابن الخطَّاب أنَّا قد بلغنا اطرابلس ، وبينها وبين إفريقنية تسعة أيَّام فإن رأى أمير المؤمنين ان يأذن لنا فى غزوها فعل ، فكتب إليه ينهاه عنها ويقول ما هى بإفريقية ولكنَّها مفرقة غادرة مغدور بها وذلك أنَّ أهلها كانوا يؤدُّون إلى ملك الروم شيئاً فكانوا يغدرون به كثيراً ، وكان ملك الأندلس صالحهم ، ثمَّ غدر بهم وكان خبرهم قد بلغ عمر .

حدَّثنى عمرو والناقد قال حدَّثنا عبد الله بن وهب ، عن الليث ابن سعد قال حدَّثنى مشيختنا انَّ اطرابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاصى .

فتح إفريقية

قالوا : لَمَّا ولى عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح مصر والمغرب ، بعث المسلمين فى جرائد خيل فأصابوا من أطراف افريقية وغنموا وكان عثمان بن عفَّان «رضه» متوقفاً عن غزوها ، ثمَّ أنَّه عزم على ذلك بعد ان استشار فيه ، وكتب إلى عبد الله فى سنة ٢٧ ، ويقال فى سنة ٢٨ ،

ويقـال فى سنة ٢٩ ، يأمـره بغزوها وامـدّه بجيـش عظيم فيـه مَعْبَد بن العبّاس بن عـبد المطّلب ، ومروان بن الحكَم بن أبى العـاصى بن أميَّة ، والحارث بن الحكم أخـوه ، وعبد الله بن الزبيـر بن العوّام ، والمِسْوَرْ بن مـخرَمَة بن نَوْفَل بن أُهَيْب بن عـبـد مَناف بن زُهرَة بن كلاَب ، وعبـد الرحمن بن زيد بن الخطّاب ، وعبـد الله بن عمرو بن الخطّاب ، وعاصم بن عمرو وعـبيد الله بن عمـر ، وعبد الرحمن بن أبى بـكر ، وعبد الله ابن عـمرو بن العـاصى ، وبُسْر بن أبى أرْطاة بن عُوَيْمِر العامـرى وأبو ذُؤَيْب خُوَيْلِد بن خالد الهُذَلى الشـاعر وبهـا توفّى فقام بأمـره ابن الزبير حتّى واراه فى لحـده ، وخرج فى هذه الغزاة ممّن حـول المدينة من العرب خلق كثير . حدثّنى محـمّد بن سعد ، عن الواقدى ، عن أسامة بن زيد بن أسْلَم ، عن نافع مـولى آل الزبيـر ، عن عبـد الله بن الزبير قـال : أغزانا عثـمان بن عفّان إفريقية ، وكـان بها بطريق سلطانة من أطْرَابُلُس إلى طَنْجَة ، فسار عبد الله بن سعد بن أبى سَرْح حتّى حلّ بعقُوبَة فقاتله أيّاماً فقتلـه الله ، وكنـتُ انـا الّذى قـتلته ، وهرب جيشه فتـمزّقوا وبثّ ابن أبى سرح السرايا ففرّقها فى البلاد فأصابوا غنائم كثيرة ؛ واستاقوا من المواشى ما قدروا عليه ؛ فلمّا رأى ذلك عظماء إفريقـية اجتمعوا فطلبوا إلى عبـد الله بن سعد أن يأخذ منهم ثلاثمـائة قنطار من ذهب على أن يكفّ عنهم ويخرج من بـلادهم فقبل ذلك . وحـدّثني محمّد بن سـعد ، عن الواقـدى ، عن أُسـامة بن زيد اللّيْثى ، عن ابن كـعب انّ عبـد الله بن

سعد بن أبى سرح صالح بطريق افريقـية على ألفى دينار وخمسمائة ألف دينار[1] .

وحـدثّنى محـمّد بن سعـد ، عن الواقدى ، عن مـوسى بن ضَمْرَة المازنى ، عن أبيه قال : لمّا صالح عبد الله بـن سعد بطريق إفريقية رجع إلى مصر ولم يولّ على إفـريقية احداً ، ولم يكن لهـا يومئذ قَيْرَوَان ولا مصر جـامع ، قال : فلمّا قتل عثـمان ، وولى أمر مصـر محمّد بن أبى حُذَيْفَة بن عُتْبَة بن ربيعة لم يوّجه إليهـا احداً ، فلمّا ولى معاوية بن أبى سفيـان ، ولّى معاوية بن حُدَيْج السَّكُونى مصـر فبعث فى سنة ٦٩ عُقْبَة ابن نافع بن عبد قيس ابن لَقيط الفهرى فغزاها واختطّها ، قالوا : ووجّه عُقْبَة بُسْر بن أبى أرْطاة إلى قلعة مـن القَيْرَوَان فافتتـحها وقـتل وسبى ، وهى اليوم تعـرف بقلعة بُسْر ، وهى بالقرب من مـدينة تدعى مَجّانة عند معـدن الفضّة ، وقد سمـعتُ من يذكر أنّ مُوسَى بن نُصَيْر وجّه بُسْراً ، وبُسْر ابن ٨٢ سنة إلى هذه القلعة فافـتتحها ، وكان مـولد بُسْر قبل وفاة النبى ﷺ بسنتين ، وغير الـواقدى يزعم أنّه قد روى عن النبى ﷺ والله اعلم .

وقال الواقدى : ولـم يزل عـبد الله بن سعد والياً حـتّى غلب محمّد

---

(١) ويقول قدامة « وقال الواقدى ان هذا الصلح بلغ الفى الف وخـمسمائة الف وعشرين الفاً ، فدلّ على أن القنطار ثمانية ألف وأربع مائة دنانير » .

بن ابى حُذَيْفَة على مصر ، وهـو كان انغلها[1] على عثمان ، ثمَّ انَّ عليًّا «رضه» ولّى قَيْس بن سعْد بن عُبَادَة الأنصارى مصر ثمَّ عزله ، واستعمل عليها محمَّد بن أبى بكر الصِّدّيق ، ثمَّ عزله وولّى مالكاً الأشتَر ، فاعتلَّ بالقُلْزُم ، ثمَّ ولَى محمَّد بن أبى بكر ثانية وردَّه عليهـا ، فقتله معاوية بن حُدَيْج ، وأحرقه فى جوف حمـار ، ،وكان الوالى عمرو بن العاصى من قبل مـعاوية بن أبى سفيـان ، فمات عمـرو بمصر يوم الفطر سنة ٤٢ ، ويقـال : سـنة ٤٣ ، وولـى عبـد الله بن عمـرو ابنه بعده ، ثمَّ عـزله معاوية ، وولّى معاوية حُدَيْج فأقام بها ٤ سنين ، ثمَّ غزا فغنم ، ثمَّ قدم مصـر فوجَّه عُقْبَة بن نافع بن قيس الفـهرى ، ويقال : بل ولاَّه مـعاوية المغرب فغزا إفـريقية فى عشرة ألف من المسلمين ، فافتتح إفـريقية واختطَّ قَيْرَوَانًا وكـان موضع غـيضـة ذات طرفـاء وشجـر ، لا يرام من السبـاع والحيَّات والعقارب القتَّالة ، وكان ابن نافع رجلاً صـالحاً مستجاب الدعوة فدعا ربَّه ، فأذهب ذلك كلَّه حتَّى أن كـانت السباع لتحمل أولادها هاربة بها .

وقـال الواقـدى قلت لموسى بن علىّ ، رأيت بناء افـريقـيـة المتَّصل المجـتمع الَّذى نراه اليـوم مَنْ بناه ؟ قـقـال : اوَّل من بناها عُقْبَة بن نافع الفهرى اخـتطَّها ثمَّ بنى وبنى الناس معه الدور والمسـاكن ، وبنى المسجد الجامع بها . قال وبافـريقية استشهـد مَعْبَد بن العبَّاس «رحه» فى غزاة بن

(١) انغل : أفسد .

أبى سرح فى خلافة عثمان ، ويقال بل مات فى أيّام القتال ، واستشهاده اثبت .

وقال الواقدى وغيره ، عزل معاوية بن أبى سفيان معاوية بن حُدَيْج وولّى مصر والمغرب مَسْلَمَة بن مُخَلّد الأنصارى ، فولّى المغرب ابا المهاجر مولاه ، فلمّا ولى يزيد بن معاوية ردّ عُقْبَة بن نافع على عمله فغزا السُّوس الأدنى ، وهو خلف طَنْجَه ، وجَوَّلَ فيما هناك لا يعرض له أحد ولا يقاتله ، فانصرف ، ومات يزيد بن معاوية ، وبويع لابنه معاوية بن يزيد ، وهو أبو ليلى فنادى الصلاة جامعَة ، ثمّ تبرأ من الخلافة وجلس فى بيته ومات بعد شهرين ، ثمّ[1] كانت ولاية مروان بن الحكم وفتنة ابن الزبير ، ثمّ ولى عبد الملك بن مروان ، فاستقام له الناس فاستعمل أخاه عبد العزيز على مصر ، فولّى إفريقية زُهَيْر بن قيس البَلَوى ، ففتح تونس ثمّ انصرف إلى برقة ، فبلغه أن جماعة من الروم خرجوا من مراكب لهم فعاثوا ، فتوجّه إليهم فى جريدة خيل فلقيهم فاستشهد ومن معه فقبره هناك ، وقبورهم تدعى قبور الشهداء ، ثمّ ولى حَسَّان بن النعمان الغَسَّانى ، فغزا ملِكَة البربر الكاهنة ، فهزمته فأتى قصوراً فى حيِّز برقة فنزلها ، وهى قصور يضمُّها قصر سقوفه اراج فسمّيت قصور حَسَّان

(١) وأورد قدامة الخبر كمايلي : « فولّى عبد الله بن الزبير مصر ابن جَحْدَم وهو عبد الرحمن بن عقبة الفهرى فاخرج عن مصر ، ويقال قتل بها فولّى مروان عقبة بن نافع » .

ثمَّ انَّ حسَّان غزاها ثانية فقتلها وسبى سبياً من البربر وبعث به إلى عبد العزيز ، فكان أبو محجَن نُصَيب الشاعر يقول : لقد حضرت عند عبد العزيز سبياً من البربر ، ما رأيت قطُّ وجوهاً احسن من وجوهم . قال ابن الكلبى ولّى هشام كُلْثوم بن عِيَاض بن وَحْوَح القُشَيْرى إفريقية ، فانتقض أهلها عليه فقُتل بها ، وقال ابن الكلبى كان إفْرِيقيس بن قيس ابن صَيْفى الحِمْيَرى غلب على إفريقية فى الجاهليّة ، فسمّيت به ، وهو قتل جُرْجير ملكها فقال للبرابرة ، ما أكثر بربرة هؤلاء ، فسمُّوا البرابرة . وحدَّثنى جماعة من أهل إفريقية عن أشياخهم أنَّ عُقْبَة بن نافع الفهرى لمَّا أراد تمصير القَيْرَوَان فكر فى موضع المسجد منه فأرى فى منامه كأنَّ رجلاً اذَّن فى الموضع الَّذى جعل فيه مئذنته ، فلمَّا اصبح بنى المنابر فى موقف الرجل ثمَّ بنى المسجد ، وحدَّثنى محمَّد بن سعد ، عن الواقدى قال : ولّى محمَّد بن الأشعَث الخُزاعى افريقية من قبل ابى العبَّاس أمير المؤمنين فرمَّ مدينة القَيْرَوَان ومسجدها ، ثمَّ عزله المنصور وولّى عمر بن حَفْص هِزَارْ مَرْد مكانه .

فتح طنجة

قال الواقدى : وجَّه عبد العزيز بن مروان موسى بن نُصَيْر مولى بنى اميَّة ، وأصله من عين التَّمْر ، ويقال بل هو من أَرَاشَة من بَلّى ويقال هو من لَخْم ، والياً على افريقية ، ويقال بل وليها فى زمن الوليد بن عبد

الملك سنة ٨٩ فـفتح طنجـة ونزلها ، وهو أوَّل من نزلـها واختطّ فيـها للمسلمين ، وانتهت خـيله إلى السُّوس الادنى وبينه وبين السوس الأقصى نيف وعشرون يوماً فوطئهم ، وسبى منهم وأدُّوا إليه الطاعة وقبض عامله منهم الصـدقة ، ثمَّ ولاَّهـا طارق بن زياد مولاه ، وانصـرف إلى قَيْرَوَان إفريقية .

فتح الأندلس

قال الواقدى : غزا طارق بن زياد عامل موسى بن نُصَيْر الأندلس ، وهو أوَّل من غزاها ، وذلك فى سنة ٩٢ ، فلقـيه أُلْيان ، وهو والٍ على مـجاز الأندلس فـأمنَـه طارق على أن حـمله وأصحـابه إلى الأندلس فى الـسفن ، فلمَّا صار إليها حاربه اهـلها ففتحها وذلك فى سنة ٩٢ ، وكان ملكها فيما يزعمون من الأشبان وأصلهم من أصبهان ، ثمَّ أنَّ موسى بن نُصَيْر كتـب إلى طارق كتـاباً غليظاً لتغـريره بالمسلمين ، واقتـتانه علـيه بالرأى فى غزوه ، وأمـر أن لا يجاوز قُرْطُبَه ، وسار موسى إلى قـرطبة من الأندلس فترضَّاه طارق فرضى عنه فـافتتح طارق مدينة طُلَيْطُلَة ، وهى مدينة مملكة الأندلس وهى ممَّايلـى فَرَنْجَة وأصاب بها مائدة عظيـمة أهداها موسى بن نصـير إلى الوليد بن عبـد الملك بدِمَشْق حين قفل سنة ٩٦ ، والوليد مريض ، فلمَّا ولى سليمان بن عبد الملك ، أخذ موسى بن نصير بمائة ألف دينار ، فكلَّمه فـيه يزيد بن المهلَّب فأمـسك عنه ، ثمَّ لمَّا كانت

خلافة عمر بن عبد العزيز «رضه» ولّى المغرب إسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر ، مولى بنى مَخْزُوم ، فسار أحسن سيرة ، ودعى البربر إلى الإسلام ، وكتب إليهم عمر بن عبد العزيز[1] كتباً يدعوهم بعدُ إلى ذلك فقرأها اسماعيل عليهم فى النواحى فغلب الإسلام على المغرب . قالوا : ولّما ولى يزيد بن عبد الملك ، ولّى يزيد بن أبى مُسْلِم مولى الحجّاج بن يوسف إفريقية والمغرب ، فقدم إفريقية فى سنة ١٠٢ وكان حرسه البربر فوسم كلّ امرىء منهم على يده «حَرَسى»[1] » ، فانكروا ذلك وملّوا سيرته فدبّ بعضهم إلى بعض وتضافروا على قتله ، فخرج ذات عشيّة لصلاة المغرب فقتلوه فى مصلاّه ، فولّى يزيد بِشْر بن صَفْوان الكلبى فضرب عنق عبد الله بن موسى بن نصير بيزيد ، وذلك انّه اتُّهم بقتله وتأليب الناس عليه ، ثم ولّى هشام بن عبد الملك ، بشر بن صَفْوان أيضاً فتوفّى بالقَيْرَوَان سنة ١٠٩ ، فولّى مكانه عبيدة بن عبد الرحمن القيسى ثمّ استعمل بعده عبد الله ابن الحَبحاب مولى بنى سَلُول ، فأغزى عبد الرحمن بن حبيب بن أبى عبيدة بن عُقْبَة بن نافع الفهرى السُّوس وارض السُّودان فظفر ظفراً لم ير أحدٌ مثله قطُّ ، واصاب جاريتين من نساء ما هناك ليس للمرآة منهنّ الاّ ثدى واحد وهم يسمُّون تراجان ، ثمّ ولى بعد ابن الحَبْحاب كُلْثُوم بن عِيَاض القُّصَيْرى ، فقدم إفريقية فى سنة ١٢٣ فقتل ، ثمّ ولّى بعده حَنْظَلَة بن صَفْوان الكلبى اخا بِشْر بن صَفْوان فقاتل

---

(١) حرسى : مفرد حراس : أعوان الملك .

الخوارج ، وتوفّى هناك وهو والٍ ، وقام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فخالف عليه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى ، وكان محبّباً فى ذلك الثغر لما كان من آثار جدّه عُقْبَة بن نافع فيه فغلب عليه ، وانصرف عنه حَنْظَلَة فبقى عبد الرحمن عليه ، وولى يزيد بن الوليد الخلافة ، فلم يبعث إلى المغرب عاملاً ، وقام مروان بن محمّد ، فكاتبه عبد الرحمن بن حبيب وأظهر له الطاعة ، وبعث إليه بالهدايا ، وكان كاتبه خالد بن ربيعة الأفريقى ، وكان بينه وبين عبد الحميد بن يحيى مودّة ومكاتبة فأقرّ مروان عبد الرحمن على الثغر ، ثمّ ولّى بعده الياس بن حبيب ، ثمّ حبيب بن عبد الرحمن ، ثمّ غلب البربر والإباضيّة من الخوارج ، ثمّ دخل محمّد بن الأشعَث الخُزاعى إفريقية والياً عليها فى آخر خلافة أبى العبّاس ، فى سبعين الفاً ويقال فى أربعين ألفاً فوليها أربع سنين ، فرمّ مدينة القَيْرَوَان ، ثمّ وثب عليه جند البلد وغيرهم ، وسمعتُ من تحدّث انّ أهل البلد والجند المقيمين فيه وثبوا به فمكث يقاتلهم أربعين يوماً ، وهو فى قصره ، حتّى أجتمع إليه أهل الطاعة ممّن كان شخص معه من أهل خراسان وغيرهم ، وظفر بمن حاربه وعرضهم على الأسماء فمن كان اسمه معاوية أو سفيان أو مروان أو اسماً موافقاً لاسماء بنى أميّة قتله ، ومن كان اسمه خلاف ذلك استبقاه فعزله المنصور ، وولّى عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبى صُفْرَة العتَكى ، وهو الّذى سمى هِزَارْمَرْد ، وكان المنصور به معجباً ، فدخل إفريقية وغزا منها حتّى بلغ أقصى بلاد البربر وابتنى هناك مدينة سمّاها العبّاسيّة ، ثمّ إنّ ابا حاتم

السَّدَّراتى الإباضِى من أهل سَدَّراته ، وهو مولى لكنـدة قاتله فاستـشهد ، وجماعة من أهل بيته وانتقض الثغر ، وهدمت تلك المدينة التى ابتناها ، وولّى بعد هِزَارْمَرْد يـزيد بنت حاتم بن قَبِيـصة بن المُهَلَّب ، فـخرج فى خمسين الفاً وشيَّعة أبو جعفر المنصور إلى بيت المقدّس ، وانفق عليه مالا عظيمـاً فسار يزيد حـتَّى لقى ابا حاتم باطرابلس ، فـقتله ودخل إفريقـية فاستـقامت له ، ثمَّ ولى بعد يزيد بن حاتم روح بن حـاتم ، ثمَّ الفضل بن رَوْح فوثب الجند عليه فذبحوه .

وحـدَّثنى أحمـد بن ناقد مـولى بن الأَغْلَب قال : كـان الأَغْلَب بن سالم التـميمى من أهل مَرْو الرُّوذ ، فـيمن قدم مع المُسَوِّدَة من خـراسان فولاَّه موسـى الهادى المغرب فجـمعَ له حَرِيش ، وهو رجل كان من جند الثغر من تُونِس جمعاً ، وسار إليه وهو بقَيْرَوَان إفريقية فحصره ، ثمَّ أنَّ الأغلب خـرج إليه فـقاتله ، فـأصابه فى المعـركة سـهم فسـقط ميِّتـاً ، وأصـحابه لا يـعلمون بمصـابه ولم يعلم به أصـحـاب حَرِيش ، ثمَّ أنَّ حَرِيشاً انهزم وجيـشه فاتبعهم أصحاب الأغلب ثلاثـة أيَّام فقتلوهم وقتلوا حريشـاً بموضع يعرف بسـوق الأحد ، فسـمِّى الأغلب الشهيـد ، قال : وكان إبراهيـم بن الأغلب من وجوه جند مصـر ، فوثب واثنا عشر رجلاً معـه فأخذوا من بـيت المال مقدار ارزاقـهم لم يزدادوا على ذلك شيـئاً ، وهربوا فلحقوا بموضع يقال له الزاب ، وهو من القَيْرَوَان على مسيرة أكثر من عشـرة أيَّام ، وعامل الثغر يومـئذ من قبل الرشـيد هارون هَرْثَمَة بن

أعيَن واعتقد[1] إبراهيم بن الأغلب على من كان من تلك الناحية من الجند وغيرهم الرياسة ، وأقبل يهدى إلى هَرْثَمَة ويُلاطفه ويكتب اليه يعلمه إنّه لم يخرج يداً من طاعة ، ولا اشتمل على معصية ، وأنّه إنمّا دعاه إلى ما كان منه الاحواج والضرورة فولاّه هَرْثَمَة ناحيته واستكفاه امرها ، فلمّا صرف هَرْثَمَة من الثغر ، وليه بعده ابن العكّى فساءَ اثره فيه حتّى انتقض عليه ، فاستشار الرشيد هَرْثَمَة فى رجل يوليه ايّاه ويقلّده امره ، فأشار عليه باستصلاح إبراهيم واصطناعه وتوليته الثغر ، فكتب اليه الرشيد يعلمه أنّه قد صفح له عن جُرمه وأقاله هفوته ، ورأى توليته بلاد المغرب اصطناعاً له ليستقبل به الإحسان ، ويستقبل به النصيحة ، فولّى إبراهيم ذلك الثغر وقام به وضبطه ، ثمّ انّ رجلاً من جند البلد يقال له عِمْران ابن مُجَالِد خالف ونقض ، فانضمّ اليه جند الثغر ، وطلبوا ارزاقهم وحاصروا إبراهيم بالقَيْرَوَان ، فلم يلبثوا أن اتاهم العُرّاض والمُعْطون ومعهم مال من خراج مصر ، فلمّا اعطوا تفرّقوا فابتنى إبراهيم القصر الأبيض ، الّذى فى قبله القَيْرَوَان على ميلين منها ، وخطّ للناس حوله ، فابتنوا ، ومصّر ما هناك ، وبنى مسجداً جامعاً بالجص والآجرّ وعمد الرخام ، وسقّفه بالارز وجعله مائتى ذراع فى نحو مائتى ذراع ، وابتاع عبيداً أعتقهم ، فبلغوا خمسة ألف وأسكنهم حوله وسمّى تلك المدينة العبّاسيّة ، وهى اليوم آهلة عامرة . وكان محمّد بن الأغلب ابن ابراهيم بن الأغلب أحدث فى سنة ٢٣٩ مدينة بقرب تَاهرت ،

---

[1] يقال : عقد له الرئاسة فى قومه : أى جعلها له .

سمَّاها العبَّاسيَّة ايضاً ، فأخـربها أَفْلَح بن عبد الوهَّاب الأِباضى ، وكتب إلى الأُمَوىّ صـاحب الأندلس يعلمـه ذلك تقرُّباً إليـه به ، فـبعث إليـه الأموى مائة ألف درهم . وبالمغرب أرض تعرف بالأرض الكبيرة ، وبينها وبين برقة مـسيـرة خمسـة عشرة يومـاً أو أقلّ من ذلك قليلاً ، أو أكـثر قليلاً، وبهـا مدينة على شاطىء البـحر تدعى بارة ، وكان أهلهـا نصارى وليسـوا بروم غزاها جـبلة ، مولى الأغلب فلم يقـدر عليهـا ، ثمَّ غزاها خَلْفُون البربرى ، ويقال أنَّه مولى لربيعة ففـتحها فى أوَّل خلافة المتوكِّل على الله ، وقام بعده رجل يقال له المفرَّج بن سـلاَّم ففتح اربعة وعشرين حصناً ، واستولى عـليها وكتب إلى صاحب البريد بمصـر يعلمه خبره ، وانَّه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة الاَّ بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويولّيـه ايَّاها ليخرج من حدّ المتغلِّبين ، وبنى مسجـداً جامعاً ، ثمَّ انَّ اصحابه شغبوا عليه فقتلوه ، وقام بعده سوران[1] فوجَّه رسوله إلى أمير المؤمنين المتـوكِّل على الله يسـأله عقـداً وكتـاب ولاية ، فـتوفّى قـبل أن ينصرف رسوله اليه ، وتوفّى المنتصر بالله ، وكـانت خلافته ستَّة اشهر ، وقام المستـعين بالله أحمد بن محـمَّد بن المعتصم بالله ، فأمـر عامله على المغرب ، وهو أوتامش مولى أمـير المؤمنين بان يعقد له على ناحـيته فلم يشخص رسوله من سرَّ من رأى حتَّى قـتل أوتامش وولى الناحية وصيف مولى أمير المؤمنين فعقد له وأنفذه .

(١) وجاءت : سودان .

رقم الإيداع: ٢٦٣٢ / ١٩٩٩

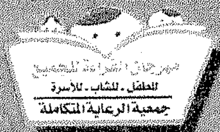
I.S.B.N 977 - 01 - 6232 - 9

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب



المعرفة حق لكل مواطن وليس للمعرفة سقف ولا حدود ولا موعد تبدأ عنده أو تنتهى إليه.. هكذا تواصل مكتبة الأسرة عامها السادس وتستمر فى تقديم أزهار المعرفة للجميع. للطفل - للشاب - للأسرة كلها. تجربة مصرية خالصة يعم فيضها ويشع نورها عبر الدنيا ويشهد لها العالم بالخصوصية ومازال الحلم يخطو ويكبر ويتعاظم ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة لكل أسرة... وأنى لأرى ثمار هذه التجربة يانعة مزدهرة تشهد بأن مصر كانت ومازالت وستظل وطن الفكر المتحرر والفن المبدع والحضارة المتجددة.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٠

١٢٥ قرشاً